المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
ماجستير الأدب والبلاغة

# الرسائل النثرية الحربية في الأندلس
# حتى نهاية القرن السادس الهجري

بحث مقدم إلى قسم اللغة العربية ضمن متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأدب العربي

**إعداد الطالب**
**فهد مفتاح يعيش الفهمي**
**الرقم الجامعي : ٤٣١٨٨٢٣٠**

**إشراف سعادة الأستاذ الدكتور**
**عبد الله إبراهيم الزهراني**

**١٤٣٦هـ/٢٠١٥م**

بسم الله الرحمن الرحيم

## ملخص الرسالة


عنوان الرسالة: الرسائل النثرية الحربية في الأندلس حتى  اية القرن السادس الهجري

اسم الباحث: فهد مفتاح يعيش الفهمي

الدرجة العلمية: درجة الماجستير

منهج الدراسة: المنهج التاريخي والتحليلي. وجاءت في مقدمة وفصلين:

الفصل الأول: (المضمون)

-إهداء النصح – الاستنجاد وطلب المدد -التهديد والوعيد -الثناء والعتاب

-الحض على الجهاد - سير المعارك - التهنئة والنصر -الهزائم والنكبات

الفصل الثاني: (الشكل)

- بناء الرسالة - الألوان البديعية - التشبيه والاستعارة- المزاوجة بين النثر والشعر.

وقد خلصت الدراسة إلى عدة نتائج منها:

١- الأدباء كان لهم دور بارز في الحروب الأندلسية ، كما أن معظم الحكام والأمراء كانوا أدباء، مما يدل على ثراء الحياة الأدبية الأندلسية.

٢- الرسائل الحربية فن من الفنون الأدبية التي لم تأخذ حقها من الدراسة الأدبية، والتي ينبغي لها أن تحظى بقدر كبير من الاهتمام لما تحفل به من صنوف الفكر والبلاغة التي يتفنن الدارسون والباحثون في الحديث عنها في الفنون الأدبية الأخرى.

# Abstract

Thesis Title: Prosaic messages in AlAndalus until the end of sixth Hijria Century.

Researcher Name: Fahad MiftahYa'eeshAlFahmi

Degree: Master

Thesis methodology: Analytical and Historical approach, it comprised of an introduction and two chapters:

**1st Chapter: (Body)**

- Advise presentation
- Threatening
- Urge to Jihad
- Greetings and victorious
- Defeats and crises
- Asking for help and support
- Appreciation and blame
- Battles progress

**2nd Chapter: (Structure)**

- Thesis structure – adorable colors – Simile and metaphor – combining the poems and proses.

The study concluded to the following results:

1. Writers have had an important role during the Andalus battles and wars, most of the rulers and governors were also writers and scientists, of which indicates to the enrichment literatures in AlAndalus.
2. The battles and wars messages are one of the literature arts that was abandoned in the literatures, such needs to be considered and revised in much more manners due to the huge patterns of thoughts and rhetoric that researchers and learners embracing of its rich details within the other literatures.

# الإهداء

إلى والديَّ اللذين كان لهما الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في وجودي وتربيتي

إلى خالتي التي أحاطتني برعايتها وعنايتها ودعمها...

إلى إخواني الأخ عائش مفتاح، والأخ محمد مفتاح اللذين كانا قدوة لي في شتى مناحي الحياة.

إلى أعمامي وعماتي الذين كانوا خير سند لي في الدنيا...

إلى زوجتي الغالية أم بدر التي أحاطتني برعايتها وعنايتها ودعمها...

إلى كل من وقف خلف هذه الرسالة بالتشجيع أو إسداء نصيحة أو توفير معلومة أو إبداء رأي

إلى كل من يمكنه الاستفادة من هذه الرسالة....

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

وأسأله - جلت قدرته- أن يجعل عملي شاهدًا لي لا شاهدًا عليَّ .. آمين

الباحث

## الشكر والتقدير

الحمد لله تعالى، والشكر له على فضله ونعمه الكثيرة التي أنعمها علي؛ ومنها أن مهد لي طريق العلم، وجعلني من طلابه، ويسّر لي إتمام هذا البحث، وقدر لي إخراجه على هذه الصورة المتواضعة بعد أن يسر العسير، وذلّل الصعب.

أتوجه بالشكر إلى جامعة أم القرى هذا الصرح الشامخ التي تشرفت بأن أكون أحد طلا ا.

والشكر موصول إلى عمادة الدراسات العليا بجامعة أم القرى التي أتاحت لي الفرصة لإكمال مسيرتي العلمية.

كما أتوجه بالشكر إلى كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى التي بدأت فيها هذه المسيرة.

كما أشكر قسم الدراسات العليا العربية التي هيأت لنا المناخ المناسب للتحصيل العلمي.

وأدين بعظيم الفضل والشكر والعرفان بعد الله سبحانه وتعالى في إنجاز هذا البحث وإخراجه بالصورة المرجوة؛ إلى المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور عبد الله إبراهيم الزهراني، الذي منحني الكثير من وقته، وجهده، وتوجيهاته، وإرشاداته، وآرائه القيمة، مما كان لها أكبر الأثر في إنارة طريقي وإرشادي كطالب للعلم، فلا أملك له إلا أن أسأل الله القدير أن يجزيه عني خير الجزاء، وأن ينفع بعلمه الإسلام والمسلمين.

كما أتقدم بالشكر والعرفان لكل من قدم لي العون والتوجيه ولو بكلمة من قريب أو بعيد، وأشكر كل من ساعد على إتمام هذا البحث، فأسأل الله تعالى أن يجزيهم جميعا عني خير الجزاء.

ولا أنسى بالذكر الأخ العزيز الأستاذ عبد الرحمن مبارك الثبيتي، المشرف التربوي بتعليم الطائف، والإعلامي الأستاذ عوض سعد الفهمي، والأستاذ خميس ناجم الفهمي، والأستاذ سعود عزيز الفهمي الذين كانوا نعم الإخوة والأصدقاء.

وختاما أسال الله العلي القدير أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعله علما نافعا، وذخرا لي عنده يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، إلا من أتى الله بقلبٍ سليم، وأن يسهل لي به طريقًا إلى الجنة برحمته وفضله ومنّه، إنه جواد كريم.

**الباحث**

# المقدمـــــــة

## المقدمة

الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة، وأشهد بأن الله هو الواحد الأحد، والفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد هو الذي خلقنا ورزقنا، فله بذلك الفضل والمنة، وهو الذي أرسل إلينا رسوله ليرشدنا ويعلمنا، فعرفنا بأنه خلقنا للعبادة وليس للتعصب والشقاق، فجعل لمن عصاه النار، وجعل لمن أطاعه الجنة، وأشهد بأن سيدنا ونبينا، وحبيبنا، أمير المرسلين وقائد الغر المحجلين صاحب الدين القويم الذي أضاء الدرب للسالكين وحذر العقلاء وعلم المتعلمين بأن هلاك الأمة في انتهاج الفرقة واتباع سبل التشرذم، ثم أما بعد.

فإن الأندلس تحتل في قلب كل مسلم مكانة سامية بوصفها مثال قام ليعبر عن قدرة المسلمين على بلوغ أرقى درجات الحضارة والرقي، كما تعبر الأندلس عن حالة شجية في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية.

ولعل أهم وأكبر الأسباب التي أسهمت في غروب شمس الحضارة العربية الإسلامية عن الأندلس كان هو الفرقة والتشرذم وانقسام المسلمين على أنفسهم، والاستعانة بعدوهم لينصر بعضهم على بعض.

والأدب الأندلسي يحتل في نفوس الدارسين والباحثين منزلة خاصة لما يمتاز به من سمات تجعله يتوهج بالتفرد والاستقلال والاختلاف عن غيره من الأدب العربي في المشرق.

والنثر فن من فنون الأدب لا يقل أهمية عن الشعر، ورغم الإجماع المنعقد على أن الشعر هو الفن الأدبي الأول، فإن النثر له –أيضا- بهاؤه وجماله وسحره الذي يجعله قريبا من النفوس وسهل التناول وسهل الفهم.

ومن هنا جاء اختياري لموضوع الرسائل الحربية في الأدب الأندلسي ليكون بحثي المقدم لنيل درجة الماجستير، حيث يعرض هذا البحث للمباحث المختلفة التي مثلت انعكاساً للحالة النفسية لأدباء الأندلس الذين تصدوا لهذا الفن الأدبي، ويبين مدى انفعالهم وتأثرهم وفقًا للغرض الذي أنشئوا من أجله رسائلهم.

ولعل هذا الموضوع يعكس حالة القلق والاضطراب التي كانت- في أغلب الأحيان- هي السمة الغالبة على نفوس الأندلسيين عامة والأدباء خاصة، والتي- رغم ذلك- لم تحل دون

تشييدهم لتلك الحضارة العظيمة التي أخذت بيد أوروبا والغرب من ظلمات الجهل والتخلـف إلى أضواء الحضارة والتقدم والازدهار، وقدمت لهم مشاعل العلم والفكر التي تدين ا أوروبـا للمسلمين حتى يومنا هذا.

وقد بدأت رسالتي بتمهيد تحدثت فيه بإيجاز عن الأندلس وأهم الكتاب الذين استعنت برسائلهم كنموذج للمباحث المختارة.

وفي الفصل الأول (المضمون) قمت باختيار عدة مباحث رأيت أ ا تمثل أهم الأغراض التي يمكن أن تكون مجالاً لإنشاء الرسائل الحربية، فالرسائل الحربية- في رأيي- لا تخرج عـن إطار نصح أو حض على الجهاد أو وصف للمعارك أو وصف للهزائم والنكبات أو ثناء وعتاب أو نئة ونصر أو استنجاد وطلب للمدد أو ديد ووعيد.

وقد كنت حريصا على أن تكون الرسائل المنتقاة معبرة عن الأغراض التي أنشأت فيها وناقلة لشعور الكاتب.

كما أعقبت كل رسالة بتعليق بسيط أشرت فيه إلى مضمو ا وما اشتملت عليه مـن أفكار وما سيطر على الكاتب من شعور خلال الرسالة.

وفي الفصل الثاني (الشكل) قمت بتحليل الرسائل متطرقًا إلى الألوان والفنون البلاغيـة الواردة ا.

ثم جاءت الخاتمة لأقدم فيها رؤيتي التي أردت بيا ا من خلال البحث المقدم.

وفي النهاية أسأل الله العلي القدير أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن يكون هذا العمل لبنة مفيدة في مجال الدراسات الأدبية.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

الباحث

**أهمية الموضوع :**

## ١ - مكانة الأندلس :

منذ أن دخل طارق بن زياد أرض الأندلس قاد الخير لأرض أوروبا، وانتشر الإسلام في المعمورة.

وبلاد الأندلس أثر باق للمسلمين في أوروبا وإن طال عهد زوالها فأثار العمران والفن وتلك الحضارة حساً ومعناً تشهد على قيام حضارة سابقة شقت شهرتها عنان السماء.

وظلت الأنشودة الخالدة :

يا أَهْلَ أندلُسٍ للّه دَرّكُم ماءٌ وظلٌّ وأنهار وأشجار

ما جنّةُ الخُلد إلّا في دياركُم ولَو تخيّرت هذي كُنت أختار

تتردد على كل شفاه الذين قُدر لهم أن ينعموا بالحياة في الأندلس العربية وقُدر لهم أن يتعمقوا في جمال تلك الربوع، وأن يسبروا أغوار ذلك البلد المعطاء الكريم.

ومع جمال الأرض وطبيعتها زينها المسلمون بالفتح فخلدوا أزهى العصور التاريخية، ففيها اكتملت الحضارة العربية وازدهرت وعمت بلاد العرب شرقًا وغربا حتى شملت الشمال الغربي من أوروبا وشمال أفريقيا.

وفي كافة العصور ظهر لونٌ جديد من الحضارة منذ عصر بني أمية إلى عصر ملوك الطوائف، فأضافوا بذلك صفحةً مشرقةً وجديدة من الأمجاد والعظمة القائمة على تقوى الله تعالى، وكان أهلها دعاةً للخير والحق والجمال وهداة إلى طريق المحبة والإخاء، وبذلك انصهرت الدماء العربية والسلافية والجليقية والإسبانية مع بعضها البعض والتحمت الاتجاهات والأفكار، فبشر المجتمع الأندلسي الجديد بنشوء حضارة أهدت للعالم -في ذلك الوقت- حقائق الأشياء التي كانت غائبة.

## ٢- الأدب الأندلسي :

انطلقت بداية الأدب الأندلسي نثرا أو شعرا من المساجد في أول الأمر، فلم تكن لهم مدارس تعينهم في طلب العلم. ولحب الأندلسيين للأدب هاجرت إليهم كتب المشارقة، وكثرت الرحلات إليها، فتطورت الحركة الفكرية والأدبية فيها. ولم تكن بعيدة عن تطور بلاد المشرق، فنلاحظ أن الثقافة الشعرية واللغوية كانت أول ما يتعلمها الطالب في الأندلس، فهي طريقة أندلسية في التعليم، وهي أن العلوم الإنسانية لها مكان خاص إلى جانب العلوم الدينية. وجل هذه الثقافة كانت ترمي لجعل الأديب الأندلسي أديبا شاعرا أو كاتبا[١].

## ٣- مكانة النثر الأندلسي :

احتل النثر مكانة بارزة في الأدب الأندلسي، وانفرد بمزايا كثيرة كان أبرزها الرسائل التي اشتهر ا ابن أبي الخصال وغيره في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في بلاد الأندلس، وهي تمثل فنا نثريا راقيا، وكانت معرضا لإظهار النثر وقيامه على بنية ثقافية رفيعة، وخرجت عن الصنعة، وتميزت بقدر كبير من الوضوح والمباشرة، وشغلت الرسائل الإخوانية ساحة واسعة في مجال النثر الأدبي. وكان لصلات ابن أبي الخصال الواسعة لمعاصريه من الأدباء والعلماء أثر في ذيوع صيتها وشهر ا حتى ضاهى ابن خفاجة في شعره. وشمل أدب الرسائل في النثر الأدبي الأندلسي رسائل التهاني التي مثلت نوعا من المشاركة الوجدانية بين الكاتب وأصدقائه ولها نماذج تفتن القارئ وتحضه للاستزادة في قراء ا. وكان العتاب نثرا رقيقًا في الرسائل الإخوانية، كما التعازي الرقيقة، وتقترب بمنزلتها النثرية الرفيعة من الشعر، وأشهرها ما كتبه ابن أبي الخصال إلى الوزير أبي محمد بن القاسم، لما نكب بأخذ ابن تاشفين لحصن البونت وانتهاء إمارته. وتدفق النثر الأدبي معبرا عن كافة المآسي التي لحقت ببلاد الأندلس، وعالجت الرسائل الوصفية موضوعات مختلفة في الطبيعة وركوب البحر ووصفه، كذلك مثلت الرسائل النقدية جزءًا هاما من النثر الأدبي في الأندلس، وكان لخصائصه اختلاف في وضعه بحكم الزمان والمكان طيلة العصر الأندلسي حتى عصر المرابطين الذي لونه بشكل

---

(١) جودت الركابي: في الأدب الأندلسي، ص٦٦-٦٨.

واضح الاتجاه الديني، فظهر النثر في الرسائل الحربية حتى دولة بني الأحمر ومملكة غرناطة. وقد سدت الرسائل الحربية فراغًا في المكتبة العربية، وأحدثت نقْلَةً إيمانيةً وفكرية أبرزها هذا الأدب النثري الذي حض الناس إلى التوجه بالإيمان إلى الجهاد ليس في بلاد الأندلس فقط وإنما في كافة بلاد العالم الإسلامي بعد الهيمنة الصليبية الشرسة عليه.

وتنشأ أهمية هذا البحث من حيث إنه تذكار للفردوس المفقود (بلاد الأندلس) وما لها من مكانة خاصة مما يجعل الدراسات الأندلسية محببة للنفس نثرا أم شعرا كواجب إسلامي وقومي في بيئة شهدت كثيرا من الأحداث وتميزت بمميزات خاصة، كفترة مشرقة في حياة الأندلس، ليس في الأدب فحسب بل في كافة ضروب تاريخ الأندلس الذي أبرز حضارة إسلامية عربية سياسيا واقتصاديا وعسكريا وعمرانيا مازال صداها يتردد حتى الآن باكتمال معالمها في القرن الرابع الهجري حتى اية القرن السادس الهجري.

## ٤- أسباب اختيار الموضوع :

مثلت الرسائل النثرية الحربية في العصر الأندلسي موقعا إسلاميا وعربيا بارزا في التاريخ؛ لأ ا سطعت في النثر الأندلسي تمثل بالإضافة إلى فنها بعدا دعويا وسياسيا، وتذكر بالنهضة العربية لإزالة ما علق بوجه حضارة الأندلس في أوروبا من بقع سوداء مردها حياة الخضوع التي عاشها المسلمون بعد أن أصبحت حيا م لينة. وقد أشار الدارسون إلى أهمية الرسائل الحربية في العصر الأندلسي، وكان أبرزهم شوقي ضيف.

وعلى اختلاف موضوعات الرسائل في العصر الأندلسي بصفة عامة، إلا أ ا تلاقت في كثير من المواقف، ومن ذلك تلاقي الرسائل الإخوانية مع الرسائل الحربية، وشارك عدد من شخصيات كتاب هذه الرسائل الإخوانية في الرسائل الحربية.

لقد كانت الرسائل الحربية من النماذج الأدبية والفنية المبكرة في مواقف بث الحماس في النفوس منذ خطبة طارق بن زياد حتى اية عصر المرابطين، وجميعها تتصل بالأحداث الداعية للجهاد من استنفار وحوافز بالترغيب مرة والترهيب مرة أخرى، فلذلك ظفرت بفن متعدد الألوان شكل لوحةً فنيةً أدبيةً راقيةً لا تقل مستوى عن القطع النثرية والفنية والأدبية والشعرية

بأي حال من الأحوال، بالإضافة إلى تفوقها عليها في إبراز الجانب الإيماني والتوجه إلى الله تعالى والتوكل عليه لمواجهة ما حل ببلاد الأندلس من كوارث، فأبرزت الرسائل الحربية فكرا لم يكن غائبا وإنما نفضت غبارا نزل على ذلك الفكر وشحذه، فكان أدبا ودافعا لاسـتعادة حضـارة سابقة شقت سمعتها الآفاق، وكانت هذه الرسائل سببا في جمع الصف وتوحيـد الكلمـة في مواجهة الأعداء واسترداد ا ـد الذي أفل أو كاد، وآتت هذه الرسائل أُكُلَها، وأعادت لـبلاد الأندلس نورا ساطعا، ولكنه ما لبث أن خبأ.

ولكن هذه الرسائل مثلت في التاريخ الأدبي موقعا بارزا ومهما صار مرجعا لكثير مـن الدارسين والكتاب، لذا فهي أجدر أن تتدفق فيها الدراسات لسبر غورها واكتشاف الجديـد فيها الذي لم يصل إلى أيدينا فيما سبق من دراسات في هذا الجانب.

ونجد من درس النثر الأندلسي دراسة عامة لم يسلط الضوء على النثر الحربي تسـليطًا جيدا، وإنما دراسات عابرة ركزت على الأحداث والنواحي التاريخية دون تصـنيفها بطريقـة أدبية.

## ٥- أسئلة البحث :

١- ما المساحة التي احتلها النثر الحربي في بلاد الأندلس؟

٢- هل الشخصيات التي شاركت في الرسائل الإخوانية لها مشاركة في الرسائل النثرية الحربية؟

٣- هل الرسائل النثرية الحربية كانت توجه نحو مجموع الجيوش المحاربة أم لشخصيات معينة؟

٤- ما المكانة الفنية التي احتلتها الرسائل النثرية الحربية في النص الأندلسي ؟

**منهج البحث :**

من الطبيعي أن هذا اللون من البحوث سيفيد من مجموعة من المناهج، ولكـن المنـهج التاريخي والتحليلي سيكونان مرتكزين مهمين هنا، إذ من المؤكد أن بعض الرسائل تحتـاج إلى معرفة أسباب تأليفها، ولم يسعف ذلك إلا المنهج التاريخي.

كما أن تحليل النص النثري سيحتاج إلى المنهج التحليلي لمعرفة القضايا التي تضـمنتها تلك الرسائل إلى جانب ما فيها من جمال فني على ضوء ما تمليه خطة البحث وما يستجد أثناء سير البحث.

وسيكون التعريف بالكتب في آخر الرسالة في قائمة المصادر والمراجع، وذلك لـبعض الظروف التي طرأت أثناء سير عملية البحث.

**الدراسات السابقة :**

١- دراسة سالم الهدروس، بعنوان: صورة الجهاد في النثر الأندلسي زمن المرابطين، مجلة أبحاث اليرموك سلسلة الأدب واللغويات، المجلد الثاني، العدد الثاني، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٢- دراسة الفاتح الزين الشيخ إدريس، بعنوان: المعتمد بن عباد صاحب أشـبيلية شـاعرا أم ملكًا؟ مجلة آداب، العدد الرابع والعشرون، كلية الآداب بجامعة الخرطوم، ديسمبر ٢٠٠٦م.

٣- دراسة الهدروس، بعنوان: مواقف الكتاب من مظاهر الانحراف السياسي والاجتمـاعي في الأندلس زمن ملوك الطوائف، مجلة أبحاث اليرموك، منشورات جامعة اليرموك، المجلد الثالث عشر، العدد الأول، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٤- دراسة أحمد مختار العبادي، بعنوان : صور من حيـاة العـرب والجهـاد في الأنـدلس، الإسكندرية: منشأة المعارف، ٢٠٠٠م.

٥- دراسة فايز عبد النبي القيسي، بعنوان: أدب الرسائل في الأنـدلس في القـرن الخـامس الهجري، عمان: دار البشير، ١٤٠٩هـ .

## خطة البحث

## الرسائل النثرية الحربية في الأندلس حتى  اية القرن السادس الهجري

المضمون والشكل :

التمهيد :

١- القرون المقصودة في الدراسة

٢- أهم الكتاب

الفصل الأول :

(المضمون)

- إهداء النصح
- الاستنجاد وطلب المدد
- التهديد والوعيد
- الثناء والعتاب
- الحض على الجهاد
- سير المعارك
- التهنئة والنصر
- الهزائم والنكبات

الفصل الثاني :

(الشكل)

- بناء الرسالة
- الألوان البديعية
- التشبيه والاستعارة
- المزاوجة بين النثر والشعر

الخاتمة

## تمهيد

يشتمل هذا التمهيد على:

أولاً : التعريف بالقرون التي اهتمت ا الدراسة، والتي ازدهر فيها هذا الفن الأدبي (الرسائل الحربية)، وذلك بذكر لمحة موجزة عن هذه القرون وتقسيمها إلى عصور تاريخية، وتحديد بداية و اية كل عصر.

ثانيا: أهم الشخصيات الواردة بالرسالة، وهي: إما حكام، أو كتاب، مع ملاحظة أن كثيرا من الرسائل وردت على لسان حكام وإن لم تكن من إنشائهم، ولذلك كان استخدام مسمى (شخصيات) هو الأكثر دقة.

كما أننا لم نقدم ترجمة لكل من ورد ذكرهم في الرسالة، واقتصرنا على أهم هذه الشخصيات الذين كانت معظم الرسائل تدور في فلكهم؛ إما مرسلين، أو مستقبلين للرسائل.

**أولاً : قرون الدراسة:**

عاش الأدب العربي في الأندلس نحو ثمانية قرون، وتأثر بتلك البيئة التي عاش فيها، وأثر في بيئته وفيما جاورها من بيئات.

وليست تلك القرون الطويلة بالزمن الهين في تاريخ الأدب، وليست الأندلس ببيئتها الطبيعية وظروفها الاجتماعية والسياسية بالشيء الذي يمكن إغفاله في درس هذا الأدب، وأخيرا ليس التأثير الذي كان للأدب الأندلسي فيما جاوره من آداب، بأقل خطر مما تقدم[(١)].

من هذا المنطلق كان ذكر لمحة تاريخية موجزة عن قرون هذه الدراسة من الأهمية بمكان، نظرا لأن الأدب لا ينفصل عن ا تمع، كما أن موضوع الدراسة (الرسائل الحربية) يحتم علينا ذكر الملامح التاريخية- ولو بإيجاز- التي شهدت هذا الفن الأدبي بشكل يقل نظيره في أي عصر من العصور أو موطن من المواطن.

وهذه الدراسة تعنى بالفترة من الفتح حتى اية القرن السادس الهجري، وعلى هذا فإن الفترة موضوع الدراسة تشمل:

---

(١) أحمد هيكل: الأدب الأندلسي، ص٥.

**أولاً: عصر الولاة:**

وهذا العصر يبدأ بالفتح الإسلامي سنة ٩٣ من الهجرة وينتهي بقيام الدولة الأموية في الأندلس على يد عبد الرحمن الداخل سنة ١٣٨ من الهجرة(١).

**ثانيًا: العصر الأموي:**

ويبدأ بتأسيس عبد الرحمن الداخل للدولة الأموية في الأندلس مرورا ببلوغها قمة مجدها في عهد عبد الرحمن الناصر الذي جعل منها خلافة عظيمة، وانتهاء بسقوط الخلافة الأموية في الأندلس بعد سلسلة من الخلفاء الضعفاء، وبعدها انقسمت الأندلس إلى عدة ممالك مستقلة(٢).

**ثالثًا: عصر ملوك الطوائف:**

ويبدأ بسقوط الخلافة الأموية مرورا بقيام عدم ممالك مستقلة، تم تقسيم الأندلس معها إلى عدة طوائف لكل طائفة ملك، وانتهاء باستيلاء المرابطين على الأندلس بقيادة يوسف بن تاشفين سنة ٤٩٣ من الهجرة(٣).

**رابعًا: عصر المرابطين:**

ويبدأ باستيلاء يوسف بن تاشفين وجيوشه الأفريقية على الأندلس، وينتهي بحلول الموحدين محل المرابطين في حكم إسبانيا الإسلامية سنة ٥٤١ من الهجرة(٤).

أما ما تلا ذلك من عصور فيشمل :

١- عصر الموحدين: ويبدأ بحكم الموحدين للأندلس وينتهي بسقوط دولتهم، وانتزاع المسيحيين الإسبان للكثرة الغالبة من الأقاليم التي كانت في أيدي المسلمين، وحصر الدولة الإسلامية في جزء جنوبي صغير هو مملكة غرناطة، وذلك نحو سنة ٦٦٨ من الهجرة.

٢- العصر الغرناطي: يبدأ بتأسيس ابن الأحمر لمملكة غرناطة، وينتهي بسقوط آخر معاقل المسلمين في الأندلس بعد تسليم غرناطة للإسبان سنة ٨٩٨ من الهجرة(٥).

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٨.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٨.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٨.

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٩.

على أن هذه الدراسة قد اقتصرت على الفترة منذ الفتح إلى ا اية القرن السادس الهجري أي بنهاية عصر المرابطين.

وإذا أردنا أن نتحدث في عجالة عن السمات المميزة لقرون الدراسة، والتي هي الفتـرة من الفتح إلى ا اية القرن السادس الهجري، فإننا سنجد الكثير من السمات المشـتركة- رغـم اختلاف مسمى كل عصر- والتي كان لها الدور الأبرز في بزوغ نجم هذه الفن الأدبي (الرسائل الحربية)، وسنذكر بعض السمات التي أوردها الـدكتور أحمـد هيكـل في كتابـه (الأدب الأندلسي):

١- المنازعات والحروب: أول وأهم السمات المشتركة والمميزة لهذه العصور هي أ ا حفلـت بالمنازعات والحروب الكثيرة، سواء كانت بين العرب وبعضهم، أو بين العرب وأعدائهم.

٢- تفكك ا تمع: وهذا أمر طبيعي لاختلاف الطوائف المشكلة للمجتمع ما بـين عـرب، وبربر، وأسبان مسلمين، أو غير مسلمين، فإذا أُضيف إلى ذلك كثرة الحروب والمنازعات، فإن تفكك ا تمع يكون هو النتيجة التي لا ينتظر غيرها.

٣- تحرر ا تمع وقلة ظهور العادات العربية: كان اختلاط العرب الفاتحين بأهل البلاد دافعا لهم لتغيير الكثير من عادا م العربية بعد انتقالهم من كو م أمة بداوة ورعي، أو على الأكثر أمة تجارية كانت معظم رحلا ا إلى الشام واليمن إلى اختلاطهم ومعرفتـهم بمظـاهر الترف الأوروبية ممثلة في الأندلس، وانتقالهم من بيئة فقيرة يندر فيها هطول المطر إلى بيئة خصـيبة حافلة بأنواع مختلفة من الثمار وأشكال متنوعة من الرفاهية.

٤- تبلور الشخصية الأندلسية: كان نتيجة لما سبق ذكره من الاختلاط بين العناصر المختلفـة المكونة للمجتمع الأندلسي أن تتبلور الشخصية الأندلسية بمرور الأجيال حتى يكـون لهـا سما ا الخاصة ا في شتى المناحي، سواء اجتماعية، أو سياسية، أو أدبية، أو فكرية. وبعد أن أشرنا إلى أهم السمات المشتركة بين عصور الدراسة بقي أن نقول: إن الأدب الأندلسـي تأثر ذه السمات، وعليه جاء اختيارنا لموضوع الرسائل الحربية في الأدب الأندلسي؛ وذلك لأنه أكثر الفنون الأدبية التي تتجلى فيها تلك السمات، حيث كانت الرسائل الحربية هـي المعبر الأقوى عن ظروف وأحوال الأندلسيين، ويكشف كم الرسائل وأساليبها عن مـدى

المعاناة التي عاناها المسلمون في تلك البلاد، رغم ما بناه علماؤهم وأدباؤهم ومفكروهم من حضارة كانت وستبقى دليلاً على عظمة الإسلام وفضل المسلمين على العالم.

وسنرى من خلال تقديمنا لهذه الدراسة، وتحديدا في الفصل الثاني أن السمات الفنية للرسائل المختارة تتفق في كثير من الأمور الفنية والصياغية رغم اختلاف الأغراض التي أنشئت من أجلها هذه الرسائل.

**ثانياً: بعض الكتاب الذين ورد ذكرهم في الرسالة:**

**ابن طاهر:**

هو أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن طاهر من بيت ثراء وشرف وفضل بمدينة مرسية في شرقي الأندلس، وهو بيت كان ينتمي إلى قبيلة قيس بن عيلان في الجزيرة، وكان يعتز بقيسيته وعروبته، ولد سنة ٤٢٠ للهجرة، وأعان أباه في حكمه إلى أن توفي سنة ٤٥٥للهجرة، خلفه على مرسية، وانتهج سيرته فاستقام له حكم أهلها وكأنهم لم يفقدوا أباه، كان من أهل العلم والأدب البارع، إذ عني أبوه بتربيته، وكان يتقدم أمراء الطوائف في بلاغة الكتابة، وكانت رسائله متداولة بما تتميز به من حسن الأداء، وكان جوادا ممدحا، وتوفي في بلنسية سنة ٥٠٨ للهجرة[١].

**أمير المؤمنين أبو المُطرف عبد الرحمن الناصر لدين الله:**

هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، ولي بقرطبة يوم الخميس مستهل شهر ربيع الأول سنة ٣٠٠ للهجرة عند وفاة جده الأمير عبد الله بن محمد، وتوفي في ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ٣٥٠ للهجرة، وكانت خلافته خمسين سنة وستة أشهر وثلاثة أيام، وتسمى الناصر عبد الرحمن بن محمد بأمير المؤمنين بعد سنين من خلافته لما ضعف سلطان العباسية بالمشرق وغلبت عليهم الأتراك وادعت الشيعة ما شاءت بأفريقية. وظهر لأول ولايته قوة سلطانه وإقبال دولته وخمود

(١) شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، ص٤٣٩.

نار الفتنة وانقياد العصاة لطاعته، وكان الناصر على علاء جانبه واستيلاء هيبته يرتاح للشـعر وينبسط لأهله [(1)]

**المعتمد بن عباد:**

هو المعتمد محمد بن المعتضد، أمير إشبيلية ، من سلالة النعمان بن المنذر أمير الحـيرة في الجاهلية، رزق به المعتضد سنة ٤٣١ هـ ، ونشأ في الحلية والزينة والترف، وكان المعتضد أديبا مثقفًا، وكان طبيعيا أن يعنى بتربيته وأن يحضر له المعلمين والفقهاء والعلماء بالعربية، وكانـت فيه فطنة وذكاء، وشب وتفتحت ملكته الشعرية ورأى أبوه وهو لايزال في بواكير شـبابه أن يعهد إليه بحكم شلب في الجنوب الغربي للأندلس. وتوفي المعتضد سنة ٤٦١هـ ، فأمسـك المعتمد بزمام الحكم وجاءه ابن عمار فاستوزره، وأخذ يكثر مع ابن عمار من مجالس الأنـس، فأجمع الفقهاء على استدعاء يوسف بن تاشفين كي يخلص الأندلس من حكم هؤلاء، فقـاوم المعتمد وطلب من الفونس السادس النجدة، وقاوم ولم تنفعه مقاومته وأمر ابن تاشفين بنفيه مع أهله إلى المغرب، ونقل إلى طنجة ومنها إلى مكناس، واستقر في أغمات وبقي إلى أن توفي سنة ٤٨٨هـ [(2)].

**تميم بن المعز بن باديس:**

هو أبو الطاهر تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن بلقين، ولـد بالمنصـورية سـنة ٤٢٢هـ ، ولاه أبوه المعز المهدية سنة ٤٤٥هـ ، وهو ابن ثلاث وعشرين سنة. ثم تخلى أبـوه عن القيروان وخرج من المنصورية لائذًا بالمهدية، فـ ل قصرها وتميم القائم بالأمر في حياة أبيـه إلى أن توفي سنة ٤٥٤هـ ، فاستبد تميم بالمملكة ودخل إليه القضاة والفقهاء والقواد وقد خرج إليهم من الطاق فعزوه وهنوه بالملك وكانت مدة ولايته بعد أبيه سبعا وأربعين سنة غير أربعين يوما، وخلف من الولد ما جاوز عددهم المائة، وكان تميم حليما جوادا ممدحا[(3)].

---

(١) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص١٩٧-١٩٩.

(٢)شوقي ضف: عصر الدول والإمارات، ص٣٣٩-٣٤٠.

(٣) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢ ، ص٢١-٢٣.

**ابن عبد البر:**

هو أبو محمد عبد الله بن الفقيه المشهور بأبي عمر بن عبد البر النمري القرطبي ، وقد عني به أبوه فخرجه على يده في أجمل صورة علمية للشاب الأندلسي في عصره، وتفتحت فيه مبكرا نزعة أدبية جعلته يؤثر على حلقات العلم والدراسة. وظفه علي بن مجاهد رئيسا لديوانه وكتابه ، وظل يعمل فيه حتى سنة ٤٥٨هـ ، توفي سنة ٤٦٣هـ [١].

**أبو بكر بن القصيرة:**

هو أبو بكر محمد بن سليمان الكلاعي الإشبيلي المعروف بابن القصيرة، نشأ في إشبيلية، وتفتحت موهبته الأدبية في عهد المعتضد أمير إشبيلية، وفطن له -كما يقول ابن بسام- ابن زيدون وزيره، فنبه عليه المعتضد، فألحقه بديوانه وتعرف حينئذ بالمعتمد وأعجب كل منهما بصاحبه، ثم رفعه إلى مرتبة الوزارة مع إسناد الكتابة إليه. وبعد أسر المعتمد ابتعد ابن القصيرة عن حكام إشبيلية وظل ثلاث سنوات، ويفاجئ في سنة ٤٨٧هـ باستدعاء يوسف بن تاشفين له كي يتولى ديوان الإنشاء عنده بمراكش، وأصبح منذ هذا التاريخ رئيس ديوان الإنشاء يوسف بن تاشفين حتى وفاته سنة ٥٠٠هـ ، وظل قائما على هذا الديوان زمن علي ابنه حتى وافاه القدر سنة ٥٠٨هـ في مراكش[٢].

**البزلياني:**

هو أبو عبد الله محمد بن عامر البزلياني المالقي، وبزليانة من قرى مالقة ، كانت مالقة تتبع غرناطة، وكانت إمارة الإقليم في عصر أمراء الطوائف، وطمحت نفس البزلياني للعمل في الدووابن بغرناطة، وسبقت شهرته بإحسان الكتابة إليها، فاستكتبه أميرها حبوس وأصبح رئيسا لديوانه وكتابه، وعمل بعده مع ابنه باديس. ويقول صاحب الذخيرة: إنه تقلب في البلاد وانتهى به المطاف إلى المعتضد به عباد سنة ٤٤٣هـ فألحقه بدواوينه ووصله بابنه إسماعيل، وتطورات الظروف فقتل المعتضد البزلياني لما وقر في نفسه من أنه هو الذي أغوى ابنه[٣].

---

(١) شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات، ص٤٠١-٤٠٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٠٥-٤٠٦.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٩٨-٣٩٩.

**يوسف بن تاشفين:**

ولد أبو يعقـوب يوسـف بـن تاشـفين بـن إبـراهيم اللمتـوني الصـنهاجي سـنة (٤٠٠هـ/١٠١٠م)، أبوه يسمى إبراهيم اللمتوني الصنهاجي، وأُمه بنت عم أبيه فاطمة بنت سـير بن يحيى بن وجاج بن وارتقين. وكان -رحمه الله- بطَلاً نجدا شجاعا حازما مهابا ضابطًا لملكـه، متفقدا الموالي من رعيته، حافظًا لبلاده وثُغوره، مواظبا على الجهاد، مؤيدا منصورا، زاهدا في الدنيا، لباسه الصوف، لم يلبسْ قط غيره، وأكله الشعير ولحوم الإبل وألبا ا، وكان ملكه مـن أول بـلاد الإفرنج (ويقصد م هنا نصارى الأندلس) شرق بلاد الأندلس إلى غرْب الأندلس، وملك بـالمغرب من جزائر بني مزغنة إلى طنجة إلى آخر السوس الأقصى إلى جبل الذهب من بلاد السودان، وأصبح أميرا على المغرب سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م، واتخـذ (مـراكش) عاصـمةً لملكـه ابتـداءً مـن ٤٥٤هـ/١٠٦٢، تلقى يوسف بن تاشفين - رحمه الله - تعليمه الأولي في قلب الصحراء من علَماء المُحدثين والفُقَهاء، ونشأ وترعرع وتربى على تعاليم الإمام الفَقيه ابن ياسين -رحمه الله - الذي أسس رباطًا في جنوب المغرب، ونبغ في فُنون الحرب، وفي السياسة الشرعية التي تتلمذ على الفُقَهاء فيهـا، وقام ا خير قيام(١).

ويعد يوسف بن تاشفين - رحمه الله - أحد الأمراء المسلمين البارزين في تاريخ الغرب الإسلامي، ولقد لُقب على إثْر انتصاره في معركة الزلاقة على النصارى الإسبان بـ ـ"أمـير المسلمين وناصر الدين"، وهو أعظم ملك مسلم في وقته، أسس أول إمبراطوريـة في الغـرب الإسلامي من حدود تونس حتى غانا جنوبا والأندلس شمالاً، وأنقَذ الأندلس من ضياعٍ محققٍ، وهو بطل معركة الزلاقة وقائدها، وحد وضم كل ملوك الطوائـف في الأنـدلس إلى دولتـه بالمغرب بعدما استنجد به أمير إشبيلية المعتمد بن عباد.

وخلاصة القول :إن يوسف بن تاشفين هو أحد قواد المُرابِطين الذي أصـبح القائـد الأوحد عليهم، خاصة بعد وفاة ابن عمه الأمير أبى بكر بن عمر سـنة ٤٨٠ هـ ـ، ويعتـبر المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين؛ لأنه هو الذي وطد أركانَ هذه الدولة وأعطاها كيانا دوليـا ثابتا(٢).

---

(١) يوسف اشياخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص ٦٥-٦٦.

(٢) أحمد مختار العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٠٥.

# الفصل الأول

# المضمـــون

- إهداء النصح
- الاستنجاد وطلب المدد
- التهديد والوعيد
- الثناء والعتاب
- الحض على الجهاد
- سير المعارك
- التهنئة والنصر
- الهزائم والنكبات

- **إهداء النصح :**

عندما نتحدث عن رسائل إهداء النصح في الأدب الأندلسي فإننا نستلهم دور الأدباء في ذلك العصر، الذي كان التفرق والاختلاف هو معول الهدم لذلك البناء الشامخ من الحضارة الإسلامية في الأندلس.

كانت الفتن والخصومات هي العامل الأول لاستنفار الأدباء لحمل مشاعل الوحدة ولَم الشمل وطرح الخلافات جانبا والتفرغ لمواجهة الأخطار التي أحدقت بهم. فها هو ابن التاكرني نجده يؤكد على خطورة الفرقة والانقسام، ولكن بأسلوب مختلف فيقول: (فيا للمسلمين! تعالوا إلى التعاون، واتفقوا ولا تفرقوا، واتقوا عاقبة الخذلان، وقد ناديت إن أسمعت، ونصحت بقدر ما استطعت، فإن وافقنا قبولاً ولقيت تأويلاً جميلاً، فإن الخير عنيد والتناول غير بعيد... فإما ألفة وانتظام واتفاق يحيي رمق الإسلام، وإما داعية تلف وراعدة صلف، وهنالك تزل القدم، ولا ينفع الندم). (1)

- يبدو خطاب الكاتب شديد اللهجة، وإن كان نصحا فإنه بدأه باستغاثة، ثم جاء النداء بقوله: (تعالوا إلى التعاون).
- قوله: (اتفقوا ولا تفرقوا) جمع بين الأمر والنهي في عبارة واحدة.
- قوله : (وقد ناديت إن أسمعت....) يدل على ما يعتمل في صدر الكاتب من غضب مكتوم من حال الأمة وتفرقها وعدم إدراكها لخطورة موقفها.
- ختم حديثه بعواقب التفرق كإنذار أخير للأمة للإفاقة والاستصراخ لكل جوارحها بضرورة العمل على نزع فتيل أزمة التناحر.

والأديب أبو عبد الله محمد بن عامر البزلياني كتب عن أحد الأمراء الصنهاجيين إلى مظفر ومبارك العامريين صاحبي شاطبة وبلنسية يدعوهما إلى نبذ الفتن والتحذير من مخاطر الفرقة وضرورة توحيد الجهود والوقوف صفا واحدا لمواجهة أطماع النصارى، فكتب يقول: (كتبت يا سيدي ومشارب الآمال قد تكدرت ووجوه المحاسن قد تغيرت وأيدي التوازن قد قصرت وسبيل التناصر قد توعرت إلا أن يتلافى الله الخلل بتسديد نظركما، وينعش الأمل

---

(1) ابن بسام: الذخيرة، ق٣، م١، ص٢٣٨-٢٣٩.

بحميد أثركما فينظم الشمل ويصل الحبل، ويسد الثلم، ويشد الحزم، ويرقّع المنخرق، ويجمع المفترق ويضع الإصر، ويرفع الوزر، ويعيد الكلمة متفقة، والأمة متسقة، والأيدي متأيدة...)[1].

- بدأ الكاتب الرسالة مخاطبا المرسل إليه بكلمة سيدي، وأرى أن استخدام هذه الكلمة كان من باب التعظيم والتكريم للمخاطب رغم أن الرسالة من أمير، إلا أن التعظيم في بداية الرسالة يكون دافعا على قبول النصح.
- وصف الكاتب لحال الأمة يأتي من النتيجة إلى السبب، فمشارب الآمال قد تكدرت بسبب تغير وجوه المحاسن، ووجوه المحاسن تغيرت بسبب قصر أيادي التوازي، وما ذلك كله إلا نتيجة لتوعر سبل التناحر.
- الكاتب يبدو طبيبا يعرض الحالة المرضية ثم يصف العلاج بقوله: (إلا أن يتلافى الله الخلل...) واستخدام الأسلوب الحصري يفيد أنه لا نجاة من هذه الحالة إلا بتسديد نظر المخاطبين وسعيهما للوحدة.
- ثم يعرض الكاتب بأسلوب شائق ومثير لقيمة الوحدة، وكأنه يريد أن يقول إنه بالوحدة لا تشفى الأمة فقط، وإنما سيتغير حالها : (... فينظم الشمل ويصل الحبل...).

ويمضي الكاتب في إسداء نصحه قائلاً :

(ولم يخف عليكم ما في صلاح ذات البين من الفوز بخير الدارين، وأمن العباد، وخصب البلاد، وإعزاز الدين، وإذلال القاسطين، وتوهين المشركين، وقوة العضد ووفور العدد، ودعة الأجسام، والرعة عن الآثام، وستر العورات وحفظ الحرمات، والانتهاء إلى حدود الله، بالازدجار بزجره، والتأدب بأدبه والائتمار بأمره) [2].

- يستمر الكاتب في نصحه مبيناً فضائل الوحدة في السعادة في الدارين الدنيا والآخرة، وهو أسلوب مشوق يستنفر همم المخاطبين بتبيين ما في السعي للوحدة من الفوز برضا الله سبحانه في الآخرة وما يترتب عليه من سعادة في الدنيا.

---

(١)ابن بسام: الذخيرة، ق١، م٢، ص ٦٣٧.

(٢)المصدر نفسه، ق١ م٢ ، ص ٦٣٨-٦٣٩.

- يعود الكاتب مرة أخرى للحديث عما في ذلك من رضا الله لأن الوحدة وإصلاح ذات البين تعين على إقامة حدود الله.

- استخدام الكاتب لعبارة (ولم يخف عليكما...) في بداية الفقرة استمرار لتعظيم المخاطب وكأنه يريد أن يقول إن ما أسوقه من فوائد للوحدة ليس بخاف عنكم وأنتم أعلم به مني ولكن حديثي إليكم هو بمثابة التذكير ليس إلا.

- التركيز على ذكر الله سبحانه وتعالى والحث على نيل رضاه بالوحدة يجعل الرسالة ذات أثر عاطفي فعال وجعل الكاتب ما يناله من يسعى للوحدة من خير مغلفاً بغلاف إيماني بحت فجعل سعادة الدنيا بين شقي الحديث عن سعادة الآخرة وإقامة حدود الله وكفى بإقامة حدود الله والائتمار بأوامره مطلباً لأي حاكم مسلم في كل زمان ومكان يسعى إلى تحقيق ذلك المطلب على يديه ناهيك عن أن الوحدة أمر إلهي.

وفي تسلسل منطقي يذكر الكاتب بشقاء الأمم الماضية كنتيجة حتمية للفرقة قائلاً:

(وقد علمتم أنه لم يهلك من هلك من الأمم الماضية والقرون الخالية إلا بتقاطعهم وتحاسدهم وتدابرهم وتخاذلهم وأن اللجاج مطية الجهل والحرب مشتقة المعنى من الحرب مع ظنك المغلب وكأنه المتغلب توتم الأطفال وتلتهم الرجال، سوق لا ينفق حاضروها غير النفوس والأرواح وشرب يتعاطون المنايا بظبا السيوف وأطراف الرماح، مصروعهم دائر، وصارعهم خاسر، وماضيهم نادم، وباقيهم واجم) (1).

- قوله (وقد علمتم) استمرار من الكاتب في تبجيل المخاطب بأنه لا يخفى عليه ما يسوقه إليه من نصح وذلك لسعة فكره ورجاحة عقله وذلك له أثر في تقبل النصح من الكاتب.

- قوله : (لم يهلك من هلك... إلا بتخاذلهم) كأن الهلاك لا يتأتى إلا بالتخاذل والتقاطع والتدابر أو أن نتيجة التخاذل والتقاطع هي الهلاك كنتيجة حتمية لذلك.

- قوله : (.... اللجاج مطية الجهل ....) يبين ما للاختلاف والتنافر من أثر في استشراء الجهل والتخلف في الأمم وانتشاره فيها انتشار النار في الهشيم.

---

(1)المصدر السابق، ق١، م٢ ، ص ٦٣٨-٦٣٩.

- ثم يلجأ للناحية العاطفية بذكره يتم الأطفال نتيجة التباغض والتقاتل والتهام الرجال وكأن الاختلاف والتباغض وحش يلتهم الرجال مما يساهم في الفت في عضد الأمة والعمل على ضعفها.
- ويستمر في بيان أثر التقاتل بين أبناء الأمة الواحدة مصوراً له بسوق لا ينفض إلا لاك الأمة واندثارها.
- ويلجأ أخيراً إلى بيان مدى الخسارة والتي تكون مشتركة فلا المصروع يبقى ولا الصارع يفرح لأنه قتل أخاه في غير حق ودون فائدة ترجى كما أنه في قتل أخيه يعمل على إضعاف نفسه ويشعر أنه لا محالة مقتول، فيضيع الأمن ويتوقف العمل ويسهل على أعداء الأمة الفتك ا.
- الرسالة حفلت بأدوات التعظيم للمخاطب مما يكون دافعاً على قبول النصح والاستجابة لمطلب المرسل.
- الرسالة جمعت ما بين الترغيب والترهيب في الوحدة ونبذ الفرقة جاء ببيان أثرها الدنيوي والأخروي وما في ذلك من رضا الله سبحانه وإقامة حدوده وما تحمله من سعادة دنيوية يصبو إليها كل حاكم في كل زمان ومكان.
- الرسالة جاءت مرتبة ترتيباً منطقياً فبدأ الكاتب بوصف حال الأمة ثم بين علاجها ثم بين أثر الاستجابة للنصح وختم ببيان الآثار السلبية لعدم الاستجابة لنصحه.
- أسلوب الكاتب جاء غير مرسل وخلا من اللهجة الخطابية الروتينية التي قد تبعث على الملل مما ينتج عنه عدم الاستجابة للنصح وذلك رغم اشتماله على الحديث عن الآخرة وما في ذلك من ثواب وعقاب.
- ختم الكاتب رسالته ببيان حال الأمة إذا لم تتوحد من فناء لرجالها ويتم لأطفالها مما يهدد كيا ا وكأنه يريد أن يقول للمخاطب من طرف خفي أنه المسؤول عما سيحدث للأمة أمام الله إذا لم يستجب لنصيحته.

وللكاتب أبي عبد الله بن عامر البزلياني رسالة أخرى على لسان حبوس بن زيري أمـير غرناطة إلى يحيى بن منذر أمير سرقسطة يدعوه فيها إلى توحيد الصفوف وترك التنازعات والفتن ونبذ الخلاف والفرقة، يقول فيها :

(فنظرت في الأمر بعين التحصيل وتأولته بحقيقة التأويل فعظم قلقي وكثر على المسلمين شفقي في أن يطأ أعداؤهم بلادهم، ويموتوا أولادهم ويتسع الخرق على الراقع، وينقطع طمـع التلاقي على الطامع). [1]

- يبدي الكاتب أن ما دب في أوصاله من قلق إنما أتى بعد التفكير ملياً في عواقب الأمور ليبين أن هذا القلق ليس مجرد خوف غريزي قائم عن ضعف وجبن وإنما هو نتيجة حتمية و اية منطقية لحال الفرقة الذي سيطر على الأمة.
- قوله في اية الفقرة (يتسع الخرق على الراقع) يوحي بضرورة التعجل لإقرار الوحدة وعـدم الاستهانة بالأمر وذلك قبل فوات الأوان في وقت يكون السهم قد بلغ قصـده ويصـبح السعي لتحقيق الوحدة ضرب من الخيال.
- لجأ الكاتب إلى أسلوب التهديد ليوضح مدى خطورة الأمر وإثارة غيرة المسلمين على دينهم وحرما م.

ويقول في رسالة أخرى على لسان باديس بن حبوس إلى المنصور بن عبد العزيز أمـير بلنسية بعد استنكاره لاستعانته بالنصارى، قائلاً :

(فأما إذا انساق العدو إلينا، وتطرق علينا وضرى على أموال المسلمين ودمائهم، وجرؤ على قتل رجالهم وسبي نسائهم وبانت له العورات، وتحققت عندهم الاختلافـات، وأحـدوا رحاهم واستمدوا من وراهم، لم يكن للمسلمين م بعد يد ولا عن إخلاء هذه الجزيرة بـد، والله يحميها من الغير ويكفيها سوء القدر). [2]

---

(١) المصدر السابق، ق١، م٢، ص٦٢٧.

(٢) المصدر نفسه، ق١، م٢، ص٦٤٠.

- يلجأ الكاتب مباشرة إلى بيان نتيجة استعمال النصارى على تقاليد أمـور المسـلمين مـن انكشاف عورات المسلمين أمام أعينهم وسهولة اختراق جبهتهم وما يحمله من تورية في قباحة فعل المنصور.

- لجأ الكاتب إلى استخدام عبارات (قتل رجالهم وسبي نسائهم) ليعمد في إيغار صدر المنصور على النصارى ودفعه لسرعة التخلص منهم.

- ختم الكاتب الرسالة بالدعاء وكأنه ينبه المنصور إلى أن الله تعالى ليس براض عن فعله.

ومن الرسائل المتعلقة بالموضوع نفسه رسالة قاضي سرقسطة ثابت بن عبـد الله الـتي أرسلها إلى عامل الأندلس (أبي طاهر تميم) وجاء فيها من النصح ما يلي :

(.... فاستعن بالله على عدوه... ولا ترض بخطة العـار- وسـوء الـذكر في جميـع الأمصار... ولن يسعك عند الله ولا عند مؤمن عذر في التأخر... من مناجزة الكفار). [١]

- يأتي هذا النصح في هذه الرسالة بعد سيل من اللوم والتقريع وجهه القاضي للمخاطب وذلك إثر فراره أمام جيوش ألفونسو الأول سنة ٥١٣هـ قبل نشوب القتال وا مـه بالتخـاذل والجبن.

- بداية النصح جاءت بالاستعانة بالله لبث الثقة في نفس المخاطب واستخدامه (لفظة) (عدوه) ليؤكد للمخاطب أن هذا العدو هو عدو الله ولذلك فإن النصر عليه أمر يقيني.

- وصفه للانسحاب بخطة العار وسوء الذكر في جميع الأمصار أمر منفر يثير في النفس كراهية الفرار وقبيح مردوده عليه.

- ختام النصيحة جاء ليبين مدى الخسارة التي ستحيق به إذا استمر في التأخر عـن منـاجزة الكفار في الدنيا والآخرة.

ومن النصح والإرشاد رسالة الأمير عبد الله بن محمد إلى قائده أحمد بن محمد التي جـاء فيها :

---

(١) مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي، ص٤٧.

(فالتزم التوكل على الله- تبارك وتعالى- والثقة به في جميع أمورك وما أنت بسبيله من ثغرك فإ ا حرز من كل ضر يتقى- وبلاغ لكل خير يرتجى، وكن من التحفظ في أيام عيـدك على أحسن الذي يجب عليك الأخذ به والتحفظ فيه، فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين)(1).

- قوله: (فالتزم التوكل على الله) عبارة تحمل من الحزم واليقين ما ينقـل لـنفس المخاطـب إحساس المرسل بأن الفوز والنجاة في التوكل على الله.

- الجمع بين التوكل على الله والثقة به جمع بين سبب ومسبب، فالثقة بالله هي سبب التوكـل عليه والإيمان بقدرته.

- قوله: (كن من التحفظ في أيام عيدك...) تعبير يوحي بضرورة توخي الحذر الشديد من العدو الغادر.

- قوله في اية الرسالة: (فالله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين) اقتباس من القرآن الكريم يفيـد ضرورة الثقة المطلقة بالله عز وجل.

ومن النصائح العسكرية ما جاء في رسالة الحكم المستنصر إلى قواده في العدوة المغربيـة التي يقول فيها :

(إن أفضل ما احتمل عليه، وعمل به، استشعار الحزم، وادراع الـتحفظ، واستنصـاح الا ام، وإذكاء العيون، وبث الجواسيس، والاستكثار منهم، ومن حملة الأخبار، حتى لا يخفـى لحسن- أهلكه الله- حركة، ولا يتوارى له مذهب). (2)

- الوصايا الواردة في الرسالة وصايا عسكرية بحتة تأتي من قائد إلى جنوده في جمـل قصـيرة لسهولة حفظها والعمل ا.

- الرسالة تضمنت وصايا عسكرية بديهية تنم عن براعة المرسل الحربية وخبرته وحنكته الـتي تجعله عالماً بأفضل الخطط والطرق الحربية التي تجلب لهم النصر و لك العدو وتحل به الهزيمة.

وطبقاً للقول المأثور (لا ينبئك مثل خبير) تأتي رسالة ابن عبد البر التي كتبها على لسان أهل بربشتر بعدما سقطت بيد الإسبان سنة ٤٥٦هـ موجهاً رسالته إلى المسلمين في جميع أنحاء الأندلس يصف فيها ما آل إليه حال بربشتر من ذل وهوان على يد الصليبيين ثم يحضهم علـى

---

(1) أخبار مجموعة : ص١٥٢.

(2) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، (٤٩٥/١).

الجهاد ويختمها بالنصح الرشيد الذي ينم عن حمله هم المسلمين رغم سقوط مدينته، ومما جـاء فيها من النصح قوله:

(الحذر الحذر! فإنه رأس النظر من بركان تطاير منه شرر ملهب وطوفان تساقط منـه قطر مرهب، قلما يؤمن من هذا إحراق ومن ذلك إغراق، فتنبهوا قبل أن تنبهوا، وقاتلوهم في أطرافهم قبل أن يقاتلوكم في أكنافكم، وجاهدوهم في ثغورهم قبل أن يجاهدوكم في دوركـم ففينا متعظ لمن اتعظ، وعبرة لمن اعتبر). (١)

- الرسالة تبين كمد الكاتب ووصفه الذي أراد أن ينقله إلى سائر المسلمين بالأندلس ليحذرهم من مغبة التهاون في أمر العدو.
- اختيار الكاتب لألفاظ (بركان- طوفان- إحراق) ينم عن الحالة النفسية التي يعيشها جـراء سقوط مدينته ويعبر عن الغضب والحزن والاستصراخ لسائر المسلمين بوجوب محاربة العدو وعدم انتظار مجيئه إليهم.
- قوله في ـاية الرسالة: (.... ففينا متعظ لمن اتعظ وعبرة لمن اعتبر) إجمال بعد تفصيل، فبعـد أن يعدد خطورة الأعداء ويسهب في شرح وقع الهزيمة على نفسه يعود في النهاية مطالبـاً المسلمين النظر إلى حال أهل بربشتر ليروا نتيجة التقاعس عن قتال العدو.

ومن الرسائل التي تدخل في باب إهداء النصح تلك الرسالة التي بعثها الكاتب أبي زكريا بن العربي للأمير أبي محمد تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين والتي كانت عبارة عن قصيدة يبين فيها بعض الإرشادات التي يجب عليه إتباعها في الحرب وجاء فيها :

أهديك من أدبِ الوغى حكمـاً ـا ... كانت ملوك الحـربِ مثلـك ولـع
لا أنـني أدري ـ ـا لكنـها ... ذكـرى تحـض المـؤمنين وتنفـع
خندق عليـك إذا اضـطربت محلـة ... سـيان تتبـع ظـاهرا أو تتبـع
وتوق مـن كـذب الطلائـع إنـه ... لا رأي للكـذابِ فيمـا يصـنع
فإذا احترست بـذاك يـك للمـدى ... في فرصـة أو في انتـهازٍ مطمـع
حاربْ بمن يخشـى عقابِـك للـذي ... تخشى ومن في جود كفـك يطمـع

---

(١) ابن بسام: الذخيرة، ق٣، م١، ص١٧٨.

قبل التناوش عب جيشـك مفصـحاً	حيـث الـتمكن وا ـالُ الأوسـع
إيـــاك تعبئـــةَ الجيـــوش مضـــيقًا	والخيلُ تفحـص بالرجـال وتمـرع
حصنْ حواشـيها وكـن في قلبِهـا	واجعلْ أمامك منـهم مـن يشـجع
والـبسْ لبوسـا لا يكـون مشـهرا	فيكـــونُ نحـــوك للعـــدو تطلـــع
واحتلْ لتوقـع في مضـايقة الـوغى	خـدعا ترويهـا وأنـت موسـع
واحذرْ كمين الـروم عنـد لقائهـا	واخفضْ كمينك خلفهـا إذ تـدفع
لا تلقـين النـهر خلفـك عنـدما	تلقـى العـدو فـأمره متوقـع
اجعـل منـاجزةَ العـدوِ عشـيةً	ووراءك الصدف الـذي هـو أمنـع
واصـدمه أول وهلـة لا ترتـدع	بعـد التقـدم فـالنكوس تضعضـع
وإذا تكنفـت الرجـال بمعـرك	ظنـك فـأطراف الرجـال توسـع
حتى إذا صـعبت عليـك ولم يكـن	إلا شمـاس دائـم وتمنـع
ورأيت نار الحـربِ تضـرم بالظبـا	ودخانـه فـوق الأسـنة يسـطع
ثم انتـهضْ لجميـعِ مـا أخمدتـه	حتى يكـونَ لـه المحـلُ الأرفـع(1)

يبدأ الكاتب ببيان أن تلك النصائح ليست لأنه أدرى من المخاطب بالحروب، لكنها من باب الذكرى التي تنفع المؤمنين، ثم يأخذ في توجيه بعض النصائح المتعلقة بالسلوك الذي يجب أن يسلكه المخاطب أثناء الحرب وما يجب أن يكون عليه من حذر ويبين له كيفية التعامل مـع العدو من وجوب مباغتته ومفاجأته بالهجوم، ثم يبين له الحيل التي يجب أن يلجأ إليهـا حـال مهاجمة العدو له، كما بين له كيفية التمركز أثناء القتال بألا يجعل النهر خلفه حتى لا يكـون صيداً سهلاً للعدو، كما بين له أفضلَ الأوقات التي ينبغي له أن يواجه فيها العدو.

(1) محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص95.

- **الاستنجاد وطلب المدد:**

ظهر غرض الاستنجاد وطلب المدد بوصفه واحدا من الأغـراض الأدبيـة في رسـائل الحرب الأندلسية، وكان الاستنجاد وطلب المدد يتم بين المسلمين وبعضهم الـبعض حينمـا يستفحل الخطر ويستشري الانكسار فيتذكرون وقتها أ م مسلمون، وأ م أخوة في الدين يجب عليهم التوحد والتناصر، ولا يليق م ولا بتعاليم دينهم التباغض والتناحر والتحاسـد؛ لأ ـم يجب أن يقفوا صفا واحدا أمام عدو دينهم الذي يريد أن يقطع دابرهم من تلك الـبلاد مـن رسائل الاستنجاد رسالة من المتوكل إلى المعتمد كتبها ابن أيمن جاء فيها :

(تقدمت كتبي إليك بما كان من تطرق خيل العدو.. بددها الله- جهاتي حتى كـادت تتركها خلاء، وتعيدها عفاء، وأنبأتك أن ذلك لا يثبت معه سلْم، ولا يرقأ عليـه كلـم، ولا يطيب معه مُعْتقَد، ولا يصبر عليه أحد، والآن ورد ما هو أشد، وطلع ما هو أشنع وأفظـع ، وذلك ضرب الخَيل من قبل فلان على تلك الجهات، وبلوغها في النكايات أقصى الغايات، فعل العدو المحارب، وعمل الضد المطالب، لا يمر بحصن إلا أناخ بحياله، وجد في قتاله، وهذه حـال ليس وراءها إلا الاستئصال، فمذهب القوم في حيز الجلي الظاهر، وقد وضح الصـبح لـذي ناظر، وأهل تلك الجهات مظهرو القلق، من اتصال هذا التطرق، معلنو الشكوى بتجاوز هذه العدوى، فكيف يسوغ لي وجها م مباحة وأحوالهم مجتاحة، طلبهم بما تعرفه، والاستعانة ـم على ما نكلفه، أليس لك في حد الامتناع وجانب الأمر غير المستطاع). (1)

يقول الكاتب: إنني كتبت إليك من قبل أن خيل العدو طوقت هذه المناطق وكـادت تخليها من أهلها، وأن هذه الحال لا ينفع معها سلم ولا حياة ولا يتحملها أحد، وظهر ما هـو أفظع وأشنع من ذلك أن خيل فلان قد هاجمت تلك الجهات ونكلوا م أشد تنكيل، فلم يمـر بحصن إلا جد في قتال أهله.

وهذا يعني أنه يريد استئصال المسلمين، وهذا أمر واضح وجلي للعيان، وسكان تلـك المناطق يعيشون في قلق دائم خوفًا من الهجوم عليهم رافعين أصوا م بالشكوى حتى لا تصيبهم

---

(1) ابن بسام: الذخيرة ق٢ م٢ ص٦٦٧-٦٦٨.

هذه العدوى، فكيف يسوغ لي حالهم أن أطلب منهم مـا لا يسـتطيعون وأكلفهـم مـا لا يطيقون!؟

ومن رسائل الاستنجاد بين المسلمين وبعضهم البعض تلك الرسائل التي كان يبعث ا ملوك الطوائف إلى يوسف بن تاشفين أمير المرابطين في العدوة المغربية يطلبـون منـه العـون والمساعدة في رد الخطر الداهم الذي أصبح يهدد الوجود الإسلامي في الأندلس، وبخاصة بعـد سقوط طليطلة بيد الأذفونش عام ٤٧٨هـ وإمعان الملوك الصليبيين وأمرائهم في إهانة المسلمين و ديدهم. ومن ذلك ما وصف به ابن عباد حال الأندلس ويأس أهلها وملوكها من التصدي لأطماع الأذفونش مسوغًا استغاثتهم بيوسف بن تاشفين، فيقول: (إنا في هذه الأندلس بين بحر مظلمٍ وعدو مجرمٍ، وليس لنا ولي ولا ناصر إلا الله، وإن أخواننا وجيراننا ملوك الأندلس ليس لنا فيها نفع، ولا يرجى منهم نصرةٌ ولا حيلة، وهذا اللعين أذفونش قد رفع رأسه إلينا، وإن نـزل علينا بكلكله ما يقع حتى يأخذ أشبيلية، ونرى من الرأي أن نبعث إلى هذه الصحراء وملـك العدوة، نستدعيه للجواز؛ ليدفع عنا هذا الكلب اللعين، إذ لا قدرة لنا على ذلك بأنفسنا) [1].

ويستشف من هذه الرسالة:

- الوصف الدقيق لحال البلاد والعباد وما هم فيه من كرب، فهم بين شقي الرحى كما يصف ذلك ابن عباد (بين بحر مظلم وعدو مجرم).
- التصوير الدقيق المعبر عن قوة العدو وخبثه ومدى خطورته، فهو شره إلى بلاد الإسلام ولن يقر له قرار حتى يستولي عليها جميعا ويقضي على الإسلام فيها.

الاستنجاد وطلب المدد، وذلك لعدم الثقة بالنفس والإحساس بالضعف والهـوان (إذ لا قدرة لنا على ذلك بأنفسنا)، ومما أرسله ابن عباد إلى يوسف بن تاشفين في معرض استنجاده به وتحفيزه للقتال قبل معركة الزلاقة قوله:

---

(١)محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص٢٧-٢٨.

غــزو عليــك مبــارك في طيــه الفــتح القريــب
لله ســ ــ ــيفك إنــ ــ ــه سخط على ديــن الصــليب
لابد مــن يــوم يكــون لــه أخ يــوم القليــب[1]

تحمل الرسالة تحفيزا وتبشيرا بالفتح ليرفع من استعداده للغزو والجهاد؛ لأن هذا الغــزو سيجلب له البركة في كل أموره، ثم يثني على سيفه ويصفه بأنه المنفذ لإرادة الله وغضبه علــى النصارى الضالين.

ومن هذه الرسائل رسالة أبي عبد الله محمد بن أيمن مستنفرا يوسف بن تاشفين ويدعوه لنصرة الإسلام والمسلمين، وذلك بقوله: (فيا لله، ويا للمسلمين، أيسطو هكذا بالحق الإفــك، ويغلب التوحيد الشرك، ويظهر على الإيمان الكفر، ولا يكتنف هذه الملة النصر، ألا ناصر لهذا الدين المهتضم! ولا حامي لما استبيح من حمى الحرم! وإنا لله على ما لحق عرشه من ثل*، وعزه من ذل، فإ ا الرزيةُ التي ليس فيها عزاء، والبليةُ التي ليس مثلها بلاء) [2].

- قوله: (يا لله ويا للمسلمين) استغاثة تحبذ النجدة والنصرة والعــون؛ لأن نصــرته ليســت لأشخاص وإنما هي نصرة لدين الله والمسلمين.
- استخدام أسلوب الاستفهام في قوله: (أيسطو هكذا بــالحق الإفــك، ويغلــب التوحيــد الشرك....) يبين أن التخاذل عن نصرة الحق أمر يثير العجب ويميت القلب ويكثر الأحزان.
- الكلمات المستخدمة تجذب انتباه السامع وتستنفر عواطفه لنصرة الدين والــوعي بمضــمون الاستغاثة.
- قوله : (ألا ناصر لهذا الدين المهتضم....) أسلوب تحفيزي استلهامي استنفاري للمخاطــب عندما يوجه له هذا التساؤل مما يشعره بالخجل والرغبة في الإجابة الفورية، وخصوصــا إذا

---

(١)المصدر السابق: ص٤٠.
* عرشه : يعني عرش الدين. انظر: ابن بسام: الذخيرة، ص٦٥٤.
(٢) ابن بسام: الذخيرة، ق٢ م٢ ، ص٦٥٤.

كان التساؤل عن نصرة الدين، لأن التخاذل عن نصرة الدين يخرج الإنسان من الملة ويوقعه في براثن الكفر.

- قوله: (وإنا لله.....) استسلام للقدر والرضا بحكم الله في أمر المسلمين وما أصابهم واستثارة للمستغاث به وإثارة الحمية الدينية في نفسه.

ما يجدر بنا ذكره في هذا الموضع أن القضاة والفقهاء والعلماء كان لهم دور فعال في الاستنجاد وطلب المدد، فقد اختارهم الحكام ليكونوا رسلهم في طلب العون والاستنجاد، فالمتوكل اختار أحد الفقهاء وأرسله إلى يوسف بن تاشفين طلباً للعون، قد بعث معه برسالة جاء فيها :

(وكتابي هذا جملة: الشيخ الفقيه الواعظ يفصلها و... فإنه لما توجه نحوك احتسابا، وتكلف المشقةَ إليك طالبا ثوابا، عولت على بيانِه ووثقت بفصاحة لسانه)[1].

- لجوء الولاة إلى الفقهاء يدل على إدراكهم لسمو مكانتهم عند الأمراء وتقدير الأمراء لهم واستجابتهم لمطلبهم.

- قوله: (الشيخ الفقيه) إطراء للمبعوث يدفع المرسل إليه إلى حسن استقباله والاستجابة لطلبه.

- قوله: (مسائل مجملة يفصلها) يدل على ثقة المرسل بالمبعوث بالرسالة وإيمانه بقدرته على التعبير عن الحال التي يريد أن يعرفها المرسل إليه.

- يعود المرسل إلى إطراء المبعوث بالتأكيد على أنه ما ذهب بالرسالة وتحمل مشقة السفر إلا طلبا للثواب من عند الله عز وجل يدفعه لذلك غيرته على دينه ورغبته في المشاركة في نصرته.

ومن الرسائل التي تقطر دما وألمًا ومعاناة، وتحمل من صور الاستنجاد والاستصراخ ما يميت القلوب كمدا، ويملأ النفوس حسرة رسالة قاضي سرقسطة حين داهم أهل مدينته النصارى، فقال القاضي مستعينا بأمير المسلمين:

---

(١) المصدر السابق، ج٤ ، ص٦٥٥.

(... فالآن أيها الأمير ... هذه أبواب الجنة قد فتحت... فالمنية لا الدنية، والنـار ولا العار، فأين النفوس الأبية؟ ... (فإن حزب الله هم الغالبون) [(١)].

- قوله: (فالآن أيها الأمير) يوحي باستفحال الخطر ووجوب سرعة النجـدة إنقـاذًا للـدين والوطن والعرض.
- قوله: (هذه أبواب الجنة قد فتحت) أسلوب ترغيب في الجهاد، وكأنه يريد أن يقول: إن ما يحدث في مدينته إنما جاء لتفتح له أبواب الجنة على مصـاريعها إذا اسـتجاب للاسـتغاثة وأسرع لنجدة المدينة.
- قوله: (فأين النفوس الأبية؟) استفهام الغرض منه إثارة الحمية لنجدة المدينة واستفزاز النخوة.
- قوله: (المنية لا الدنية... النار لا العار) تعبير يوحي بتفضيله الموت على أن يسام المسـلمون الذل والهوان، وأن يحرقوا بالنار قبل أن يلوثهم العار بالخنوع والاستسلام.

وفي الرسالة نفسها يقول: (ياالله، ويا للإسلام، لقد انتهك حماه، وفُضت عراه، وبلـغ المأمول من بيضته عداه، ويا حسرتاه على حضرة، قد أشفت على الهلاك... ويا ويلاه علـى مسجد جامعها المكرم، وقد كان مأنوسا بتلاوة القرآن المعظم، تطؤه الكفرة الفسـاق بـذميم أقدامهم.. ثم يا حسرتاه .. على صبية أطفال قد نشأوا في حجور الإيمان، يصـيرون في عبيـد الأوثان، أهل الكفر وأصحاب الشيطان) [(٢)].

- يبدأ الكاتب باستغاثة وذلك بقوله: (ياالله ويا للإسلام) وهي استغاثة تحرك القلوب وتجـزع النفوس، وكأنه يقول: هل من ناصر لله؟ هل من ناصر لدين الله؟
- ثم يبين ما أصاب الإسلام فيقول: (لقد انتهك حماه، وفُضت عراه) تعبير باستخدام الفعلـين (انتهك، وفُضت) ليستثير النخوة الكامنة في القلوب، فيصور الإسلام بأنه فتـاة تغتصـب فينتهك عرضها ويقضي شرفها وما من رجال يثورون لها ويثأرون لشرفها.
- قوله: (وبلغ المأمول من بيضته عداه) تعبير يدل على أن ما أصابه من ألم وأذى لابد من الثأر له، فقد ضرب في مقتل وينبغي لرجاله أن يهبوا مدافعين عنه.

---

(١) حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي، ص٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٥.

- يستمر الكاتب في إثارة النخوة الإيمانية الكامنة في القلوب فيذكر المسجد ويلجأ على التضاد والتحول من حال إلى حال فيقول: (يا ويلاه على مسجد جامعها المأمول وقد كان مأنوساً بتلاوة القرآن تطؤه الكفرة الفساق بذميم أقدامهم) فيلجأ الكاتب إلى تصوير تدنيس المساجد، واستخدامه للفظة (يا ويلاه) تعبير يوحي بالحسرة والكمد على ما أصاب المسجد ولا ناصر له.

- ثم يمضي الكاتب في طريقه الذي رسمه لنفسه من استثارة العواطف فيقف متحسراً على أطفال نشأوا في حجور التوحيد ويتم تنصيرهم قسراً ولجأ الكاتب إلى الأطفال لما يثيرونه من شفقة ورحمة في القلوب، تلك الشفقة الفطرية التي تفجر ينابيع الرحمة من القلوب بوازع فطري لا شعوري.

- تعبيرات الكاتب في رسالته بصفة عامة تدل على وعي كامل بخطورة الموقف وفهم لطبيعة الصراع العقائدي في الأندلس.

ومن أروع الرسائل التي تصور الاستنجاد وطلب المدد تلك الرسالة الطويلة التي ذكرها الوزير الكاتب أبو محمد عبد الله ابن الفقيه أبي عمر بن عبد البر النمري، كتبها على ألسنة أهل بربشتر، وقد جاء فيها :

(من الثغور القاصية، والأطراف النائية، المعتقدين للتوحيد، المعترفين بالوعد والوعيد، المستمسكين بعروة الدين، المستهلكين في حماية المسلمين، المعتصمين بعصمة الإسلام، المتآلفين على الصلاة والصيام، المؤمنين بالتنزيل، المقيمين على سنة الرسول، محمد نبي الرحمة، وشفيع الأمة، إلى من بالأمصار الجامعة والأقطار الشاسعة بجزيرة الأندلس من ولاة المؤمنين وحماة المسلمين ورعاة الدين من الرؤساء والمرؤوسين، سلام عليكم فإنا نحمد الله إليكم حمد من أيقن به ربا، وجعله حسبا، ولي المؤمنين وغياث المستغيثين، مجري الفلك في البحر بأمره (ويُمْسِكُ السماءَ أَنْ تقَع علَى الْأَرْضِ) [الحج: ٦٥].

أما بعد، حرسكم الله بعينه التي لا تنام، فإنا خاطبناكم مستنفرين، وكاتبناكم مستغيثين، وأجفاننا قرحى، وأكبادنا حرى، ونفوسنا منطبقة، وقلوبنا محترقة، على حين نشر الكفر جناحيه، وأبدى الشرك ناجذيه، واستطار شرر الشر، مسنا وأهلنا الضر، أحسن ما كنا

بالأيام ظنا، وملتنا ظاهرة، وفئتنا متناصرة، لا تشل لنا يد، ولا يفل لنا حد حتى انقلبت العين، وبان الصبح لذي عينين) [1].

- الرسالة من أروع الرسائل من حيث اكتمالُ البناءِ واستثارة العواطف وتسلسـل الأفكـار وجزالة العبارات وحسن اختيار المفردات، وتفصيل ذلك كما يأتي :
- بدأت الرسالة ببيان تفصيلي للمرسل لها من حيث المكانُ وساكنيه، فقـال: (مـن الثغـور القاصية و... المعتقدين للتوحيد...) وهو تعبير يثير في النفس الشجون ويثري الإحسـاس بالتعاطف مع المرسل من المرسل إليه.
- الإسهاب في وصف عقيدة وملة المرسل، وكأن الكاتب أراد أن يقدم الـبراهين ويسـوق الحجج على استحقاق المرسلين بالرسالة على تقديم العون والنصرة.
- أراد الكاتب أن يعدد مناقبهم غير ا هولة، وكأنه أراد أن يقول: نحن مسلمون مثلكم نؤمن بالتوحيد، والوعد والوعيد، مستمسكين بديننا، مدافعين عنه، معتصمين بحبـل الله، نقـيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان، ونؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم نبيـا ورسـولاً ورحمة وشفيعاً.
- استخدام العبارات المعبرة عن كينونة المرسل للرسالة تثير العواطف وتحرك القلـوب وتنبـه العقول.

وقوله : (إلى من بالأمصار الجامعة...) نداء عام لعامة المسلمين بالأندلس، سواء كانوا رؤساء أم مرؤوسين، حكاما أم محكومين.

- تعميم النداء يدل على صدق الاستغاثة وقو ا وضرور ا، ويوحي بعميق صـدقها وحـال طالبها.
- والإسهاب في وصف المستغاث م بقوله: (... ولاة المؤمنين، وحماة المسلمين...) يدل على الثقة بالمستغاث م والمبالغة في إطرائهم تحفيزا لهم على الاستجابة لطلب المدد.

---

(١) ابن بسام: الذخيرة، ق٣، م١، ص١٧٣-١٧٤.

- الاستمرار في استخدام العبارات القصيرة والألفاظ الجزلة يدفع القلوب للتأثر والاستجابة للاستغاثة.

- الثناء على الله عز وجل يدل على عميق الإيمان ويستنفر محبة الله عز وجل في قلوب المستغاث بهم، فهم يسألونهم بالله الموقنون به ربا والواثقون به حسيبا وكفيلاً وناصرا ومعينا.

- اللجوء إلى استخدام الآية القرآنية المذكورة يدل على عمق الإيمان وما يثيره سماع القرآن وتلاوته في النفوس المؤمنة من يقين وسعي إلى إرضاء الله.

- الحديث عن الموضوع الأصلي للرسالة والغرض الرئيس منها هو طلب النصرة والعون بعد مقدمة مؤثرة بوصف المستغيث والمستغاث به.

- وصف الحالة التي هم عليها (أجفاننا قرحى) للتعبير عن مدى الحزن والأسى وما تذرفه العيون من دموع الحسرة على ما هم فيه من ذل وهوان.

- (أكبادنا حرى) للتعبير عن الكمد والهم والحزن على ما أصاب الإسلام والمسلمين.

- (نفوسنا مضطربة وقلوبنا محترقة) استمرار في وصف الحالة النفسية التي هم عليها من هم وألم.

- (في حين نشر الكفر جناحيه...) وصف لحالة الكفر بعد وصف حالة الإيمان وأهله، مما يثير النفوس حفيظة على الإيمان وأهله بقوله: (مسنا وأهلنا الضر...).

- اقتباس الألفاظ القرآنية يدل على عميق الإيمان والثقافة الإسلامية الواسعة واستخدام تلك الألفاظ تحديدا يثير في النفوس الغيْرة على الدين والتعاطف مع المستغيثين.

- الحديث عن حالهم قبل النكبة وما يحفل به من حسرة تبين تحول الزمان ودورته بأهله، وفيه إيحاء بأن ما حدث للمستغيثين ليس ببعيد عن المستغاث بهم، وذلك إذا لم يمتثلوا لأمر الله بنصرة الدين وأهله ضد الكفر وأهله.

وقد أورد صاحب قلائد العقيان رسالة كُتبت إلى المعتصم صاحب المرية أيام رياسته يصف فيها العدو العابث بجزيرة الأندلس جاء فيها: (كتابي، أعزك الله، وقد ورد كتاب المنصور

ملاذي المعتد بك، أيدك الله، وقد أودعه ما أودع من حياته، ولم يدع مكانا لمسلاة، فإنه للقلوب مؤذ وللعيون مقذ، وللظهور قاصم ولعرى الحزم فاصم، فليندب الإسلام نوادبه، وليبك له شاهده وغائبه، فقد طفئ مصباحه، ووطئ ساحه، وهيض عضده، وغيض ثمده، إلى الله نفزع، وإليه نضرع، في طارق الخطب ومنتابه، ولا حول ولا قول إلا به، هو فارج الكروب، وناصر الحروب، وعالم الغيوب، لا رب سواه، ذلك أن فرديناند، دمره الله، نزل على قلعة أيوب محاصرا لمن فيها، ومغيرا على نواحيها بجموع يضيق عنها الفضاء، وتتساقط لملاحظتها الأعضاء، وأنه قد بنى على قصد جهاتنا، ووطئ جنباتنا، إلا أن يدرأ الله في نحره ويحمي من شره، وغرسية، دمره الله، بسرقطسة كذلك، وزدمير، أهلكه الله، بوشقة وما والاها، ينكي بما يبكي، والمسلمون بينهم سوام ترتع، وأموالهم تنهب، والقتل يأخذ منهم فوق ما يدع، فأطل الفكرة في هذا الحزم الداخل، والبلاء الشامل، والله المرجو لتلافي الأمة وكشف هذه الغمة، بمنه، مراجعا إلى المأمون ذي المجدين ابن ذي النون، الآن، أيدك الله، عاد الشباب خير معاده وابيض الرجاءُ بعد سواده، ............)[1].

- يسهب الكاتب في وصف الحال التي آل إليها الإسلام في الأندلس في الرسالة ليكون ذلك مبررا لطلبه المدد.
- يصف قوة العدو وتجبره وكثرة عدد قواته التي تتساقط لرؤيتها الأعضاء.
- يصف حال المسلمين وما يلاقونه من هوان لإثارة الحمية عند المخاطب.
- قوله: إلى الله نفزع، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، يوضح حجم الدمار الذي حل بالجزيرة على أيدي الأعداء.

وهذه رسالة من ابن طاهر حين ردت إليه حريته وأُطلق من معتقله بفضل وساطة أبي بكر بن عبد العزيز الوزير ببلنسية، واستجاب إلى رغبته في المقام عنده، وكتب وهو في طريقه إليه رسالة يقول في فصل منها :

(كتابي إليك وقد طفل بنا العشي ومال بنا إليك المطي، ولها من ذكراك حاد ومن لقياك هاد، وسنوافيك المساءَ، فنغفر للزمان ما قد أساء، ونرد ساحة الأمن ونشكر عظيم ذلك المن،

(١) ابن خاقان: قلائد العقيان، ص ٥٨.

فهذه النفس أنت مقيلها، وفي برد ظلك يكون مقيلها، فلله مجدك وما تأتيه لازلت للوفاء تحييه وتحويه)[1].

- يقول المرسل: إنه لم يجد من يستنجد به غير ابن عبد العزيز، ويصف حالته السيئة الجـديرة بالنجدة والإنقاذ.
- يقول الكاتب: إنه ما لجأ إلى المرسل إليه إلا لما يحمله له من ذكريات طيبة ولما يحمله له مـن معروف سابق.
- يضرب الكاتب موعدا لوصوله ويبين أمله في أن يكون لقاؤه بالمرسل له عوضا له عما لاقاه من هوان.
- يختم الكاتب رسالته بالثناء على المرسل له، ويدعو له بأن يديم الله عليه نعمته وبـأن يظـل دائما مقصدا للاستنجاد وقبلة للمضطهدين.

(١) شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات، ص٤٤١.

- **التهديد والوعيد:**

من المناحي الأدبية التي حظي ا فن الرسائل في الأدب الأندلسي منحـى "التهديـد والوعيد".

ويعد ذلك أمر "منطقي" لظهور هذا المنحى في أدب الرسائل، وذلك لما كان عليه المناخ من وجود قوى متصارعة يسعى كل منها إلى إلحاق الهزيمة النفسـية بأعدائـه قبـل الهزيمـة العسكرية، وربما تكون الهزيمة النفسية سببا في الهزيمة العسكرية ولبنة في بناء الثقة ومعول هـدم في ثقة الطرف الآخر بنفسه وداعيا إلى الاستسلام.

ولقد حفل الأدب الأندلسي بالعديد من الرسائل المتبادلة بين كافة الأطراف والتي تحمل في طيا ا ديدا ووعيدا وتباهيا بالقوة وفخرا بالانتصارات.

فبعد أن سقطت طليطلة في يد الأذفونش سنة ٤٧٨هـ واستولى على أعمالها شعر أنه أصبح قادرا على تحدي ملوك الطوائف والقضاء عليهم واحدا تلو الآخر؛ لما كانت تتمتع بـه طليطلة من سمات القوة التي تكفل لها الحماية وعدم السقوط، فمد بصـره إلى بقيـة المـدن الأندلسية، وطمع في الاستيلاء على الجزيرة كلها.

ومن رسائل التهديد رسالة خاطب ا ألفونسو السادس أهل طليطلة حـين هـددوه باستدعاء المرابطين أثناء حصارها قائلاً :

(أما استدعاؤكم البرابرة، فأمر تكثرون به علينا و ددوننا به.. فإنما نطلب بلادنا الـتي غلبتمونا عليها قديما في أول أمركم، فقد سكنتموها ما قضي لكم، فـارحلوا إلى عـدوتكم واتركوا لنا بلادنا، فلا خير في سكناكم معنا بعد اليوم، ولن نرجع عنكم...) (١).

يتبين من الرسالة إصرار ألفونسو على الاستيلاء على طليطلـة، وأنـه غـير عـابئ بتهديدهم، بل يرد على ديدهم بتهديد أقوى بقوله: (لن نرجع عنكم) وما تحمله صيغة النفي الجازم من إصرار وثقة بقوته وقدرته على الاستيلاء على طليطلة.

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب ج٣، ص٢٨٢.

كما يسوق حججا وأسبابا لرغبته في استعادة بلده الذي عاش فيه المسلمون ما عاشوا، وقد آن أوان تركهم لبلاده وعودتهم إلى بلادهم.

ومن ذلك رسالة كُتبت على لسان الأذفونش إلى المعتمد بن عباد يتهدده فيها، ويطلب منه تسليم بعض أعماله إلى رسله وعماله، وإلا فإن مصيره سيكون مثل مصير أهل طليطلة وأعمالها، وما كان يقصد من ذلك إلا تحطيم الروح المعنوية لدى المسلمين وبث الخوف في قلوبهم.

يقول في رسالته تلك:

(من الأنبيطور ذي الملتين الملك المفضل الأذفنش بن شانجة إلى المعتمد بالله سدد الله آراءه وبصره مقاصد الرشاد، سلام عليك من مشيد ملك شرفته القنا، ونبتت في ربعه المنى، واهتز اهتزاز الرمح بعامله- والسيف بساعد حامله، وقد أبصرتم ما نزل بطليطلة وأقطارها، وما صار بأهلها حين حصارها، فاسلمتم إخوانكم، وعطلتم بالدعاة زمانكم، والحذر من أيقظ باله.... وقد حملنا على الرسالة إليك القرمط البرهانس، وعنده من التسديد الذي يلقى به أمثالك، والعقل الذي تدبر به بلادك ورجالك، وما أوجب استنابته فيما يدق ويجل، وفيما يصلح لا فيما يخل، وأنت عندما تأتيه من آرائك والنظر بعد هذا من ورائك، والسلام عليك يسعى بينك وبين يديك) (١).

- يتضح من الرسالة مدى غطرسة وكبرياء ألفونسو، وذلك في بداية رسالته ووصفه لنفسه.
- يحاول ألفونسو إظهار استخفافه بالمعتمد واستهانته بأمره، وذلك بدعائه له في بداية الرسالة بأن يبصره الله مقاصد الرشاد.
- يلجأ ألفونسو إلى ذكر ما نزل بطليطلة كنوع من التهديد للمعتمد وتعييره بعدم مساندته لها وتخاذله عن نصرتها حتى سقطت في يد ألفونسو.

ولما وصلت هذه الرسالة المعتمد بن عباد رد عليها برسالة قوية حازمة بخط يده من نثره، وهي تنم عن الشجاعة والنبل والإباء، حيث رفض أن يستجيب للتهديد والوعيد، وقال فيها :

(١) محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص٢٢-٢٣.

(من الملك المنصور بفضل الله المعتمد على الله محمد بن المعتضد بالله، إلى الطاغية الباغية أذفونش الذي لقب نفسه ملك الملوك، وتسمى بذي الملتين. سلام على من اتبع الهدى، فـأول ما نبدأ به من دعواه أنه ذو الملتين، والمسلمون أحق بهذا الاسم؛ لأن الذي نملكه مـن أمصـار البلاد وعظيم الاستعداد، لا تبلغه قدرتكم، ولا تعرفه ملتكم، فركبنا مركب عجـز نسـخه الكيس، وعاطيناك دمعة كؤوس، قلت في أثنائها: ليس.. ولم تستح أن تأمر بتسـليم الـبلاد لرجالك، وإنا لنعجب من استعجالك وإعجابك بصنع وافقك فيه القدر، ومتى كان لأسلافك الأخدمين مع أسلافنا الأكرمين يد صاعدة، أو وقفة مساعدة، فاستعد بحرب، ... إلى أن قال: فالحمد لله الذي جعل عقوبتنا توبيخك وتقريعك بما أطارت من دونه، وبالله نستعين عليك ولا تستبطي مسيرتنا إليك). (١)

- يتضح من الرسالة قوة رد المعتمد في اختيار الألفاظ المناسبة التي تبرز غضبه وعدم مبالاتـه بتهديد أذفونش مثل: (الطاغية- الباغية- قطع الله دعواه)، ثم قوله: (سلام على من اتبـع الهدى) كنوع من التهكم والاتهام لأذفونش بأنه حاد عن الصواب والطريق الصحيح عندما فكر في التهديد والوعيد من أجل الاستيلاء على بعض ما تحت يد ملوك الطوائف ومنـهم المعتمد ابن عباد.
- يرد المعتمد على ادعاء أذفونش بأنه ملك الملوك أو (ذو الملتين) بمنتهى القوة والثبات وإظهار عدم الخوف من تلك الرسالة التي وصلته.
- يرد المعتمد لألفونسو الوعيد بمثله والسخرية بمثلها، ويذكره بما فعله المسلمون بقومـه مـن الإذلال ويفخر بقوة فرسانه من المسلمين وبأسهم في القتال، ويتوعده بأنـه لـه ولقومـه بالمرصاد، فيقول له:

(ولا تستحي أن تأمر بتسليم البلاد لرجالك، وإنا لنعجب من استعجالك برأي لم تحكم إنجازه... وإعجابك بصنع وافقتك فيه الأقدار، واغتررت بنفسك أسوأ الاغترار، أما تعلم أنا في العدد والعديد والنظر السديد، ولدينا من كماة الفرسان... وحماة الشجعان يوم يلتقي الجمعان، رجال تدرعوا بالصبر، وكرهوا الفقر، تسيل نفوسهم على حد الشفار، وتنعاهم المنام في القفار

(١) المصدر السابق، ص٢٣-٢٤.

يديرون رحى المنون بحركة العزايم، ويشفون من خبط الجنون بخواتم العزايم، وقد أعدوا لـك، ولقومك جلادا رتبه الاتفاق، وشفارا حدادا شحذها الأصفاق...). [١]

- يبدأ المعتمد بالاستمرار في السخرية من ألفونسو طالبا منه الاستحياء، وكأن طلبه بتسـليم بعض الأعمال أمر يدعو للخجل من سفهه وحماقته.
- يستمر في السخرية منه والتقليل من شأنه بأنه محدود الفكر ضيق البصيرة، ويطلب منه إعادة النظر في طلبه هذا لأنه ربما طلبه وهو ذاهل غافل لا يعي ما يقول.
- يقلل من شأن انتصاره على طليطلة، ويقول: إنه أمر وافقته فيه الأقدار فلا ينبغي له أن يغتر بفعله المزعوم، فالأمر يختلف بالنسبة له عن أمر طليطلة.
- ثم يعدد ذكر مناقب رجاله وقوة شكيمتهم وشدة بأسهم، ويصفهم بأ م خلقوا للحروب ، وتمرسوا الصعاب، وأن سبل المنايا بأيديهم يديرو ا كيف شاؤوا.
- ثم يصف أسلحتهم وحدتـها وقدرتـها على الفتك به وبقومه.

ومن الرسائل التي تنم عن الثقة بالله والنفس، وتحمل ديدا للعدو، وتحاول إلحاق الهزيمة النفسية به رسالة المتوكل بن الأفطس التي بعثها ردا على رسالة بعثها إليه ألفونسو علـى نحـو رسالته للمعتمد بن عباد التي سبق الحديث عنها، فرد عليه المتوكل بن الأفطس برسالة تحمـل الكثير من الثقة والكثير من التهديد والرغبة في القتال والاستعداد له في كل حين وكل وقـت والتي إن دلت على شيء فإنما تدل على قوة الإيمان والثقة بنصر الله له وللمسلمين وكذلك ثقته بقوة إيمان أصحابه واستعدادهم الدائم للقتال دفاعا عن دينهم وبلادهم.

يقول المتوكل بن الأفطس في رسالته :

(... أما نحن، وإن قلت أعدادنا، وعدم من المخلوقين استعدادنا، فما بيننا وبينك بحـر نخوضه، ولا صعب نروضه، إلا سيوفًا تشهد بحدتها رقاب قومك، وجلادا تبصـره في ليلـك ويومك، وبالله تعالى وملائكته المسومين نتقوى عليك ونستعين، ليس لنا سـوى الله مطلـب،

(١) المصدر السابق، ص٢٤.

وليس لنا إلى غيره مهرب، وما تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين، نصر عليكم، فيا لها من نعمة ومنة، أو شهادة في سبيل الله فيا لها من جنة) (١).

- يتضح أسلوب التخويف والتهديد من بدء الرسالة بنصيحة كمية بعدم الاعتزاز بقلة العدد والمدد.
- ثم يبين له استعداد قومه للقتال، وسهولة اللقاء بين الطرفين فلا يوجد بحر يحول بينـهما ولا الطرق بينهما صعبة المراس حتى يتعلل بصعوبة القتال.
- ثم يأخذ في التهكم والسخرية منه موضحاً أن قوة سيوف المسلمين وحد ا يشهد ا رقاب قومه لكثرة مصارعهم تحت صليلها.
- ثم يحدثه عن الرجال ذوي البأس الشديد الذي يراهم ليل ار.
- ثم يبين في ختام الفقرة سبب القوة بأنه يستمد قوته من الله تعالى وملائكته، لأنه يثق بأنـه على الحق ويحارب لإعلاء كلمة الله وجعلها العليا وجعل كلمة الكافرين أمثاله هي السفلى.
- يبين له عدم الاكتراث بالموت أو الخوف منه، ويبين أن الأمر لا يخلو من إحدى اثنتين، إمـا النصر والمنة، وإما الشهادة والجنة.
- يتضح من الرسالة قوة إيمان المتوكل وثقته بالله وثباته على الحق وتصديقه لوعد الله عز وجل بنصره للمؤمنين.

ومن هذه الرسائل ما كتبه أبو جعفر بن أحمد عن بعض أمراء الثغور الأندلسية إلى قوم من النصارى، يهددهم فيها ويتوعدهم لأ م كانوا قد نقضوا عهدهم مع المسلمين، يقول فيها:

(أيتها الشرذمة الطاغية: لسنا نحاكمكم إلى غير المهند ولا نماطلكم ذلك، وكأن قـد، فإن الله لكم بالمرصاد، ولن يتولى كبركم إلا أقل الأعداد، من أنجاد الأجناد، فتصبحوا كأن لم تكونوا شيئاً مذكوراً) (٢).

---

(١) المصدر السابق، ص٢١.

(٢) ابن بسام : الذخيرة : ق٣ م٢، ص٧٦٨.

- بداية الرسالة تنم عن السخرية والاستهزاء والاستهانة بشأ م، وذلك في وصفه لهم بالشرذمة وهي لفظة لا تطلق إلا على العدد القليل، وفي ذلك منحى آخر من مناحي الاستهزاء، ربما يكون عددهم كبيرا ولكن مهما بلغ عددهم فهم في نظره قلة لضعفهم وهوا م.
- في قوله: لن يتولى كبركم إلا أقل الأعداد.. يوضح سهولة القضاء عليهم بأقل عـدد مـن الجنود ليبين لهم أن ليس لهم أي قيمة عنده ولا حسبان، ثم يواصل الكاتب ديده وبـث الخوف والذعر في نفوسهم بقوله: كأن لم يكونوا شيئًا مذكورا، كتأكيد للنصر السـاحق المؤكد عليهم.

وفي رسالة أخرى يرد فيها أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين على أذفونش رداً مختصـراً قوياً قال فيه :

(جوابك يا أذفونش ما تراه لا ما تسمعه، إن شاء الله، وأردف بيتا للمبتنبي)

ولا كتب إلا المشرفية عنـده ولا رسل إلا الخميس العرمرم(١)

- يلاحظ من رد الأمير يوسف بن تاشفين الثقة بالنفس والأنفة والعزة، فهو لن يضيع وقته في عبارات رنانة ورسائل ديد لا تعبر عن الحقيقة مثلما فعل أذفونش، وإنمـا سـيكون رده عملياً وذلك في عبارة قصيرة مقتضبة تدل على عدم الاكتراث بكل ما أرسله أذفونش من ديد وسخرية.
- الاستشهاد ببيت المتنبي وما يحمله من معنى أن الرسول الذي سيحمل رسالة الأمير يوسف بن تاشفين هو السيف، فلا جواب على رسالة أذفونش إلا الموت يحمله سيف الأمير يوسف بن تاشفين.

وأختتم هذا المبحث برسالة كتبها الأديب أبو بكر بن القصيرة عن أمير المسـلمين إلى طائفة معتدية، كما يقول ابن خاقان الذي لم يشر إلى تحديدها أو نوع الجرائم التي ارتكبتـها، ويقول في رسالته: (وحسبنا هذا إعذارا لكم وإنذارا قبلكم، فتوبوا وأنيبوا وأقلعـوا وانزعـوا واقتصوا من أنفسكم كل من وترتموه، وأنصفوا جميع من ظلمتموه وغششتموه، ولا تسـتطيلوا على أحد بعد، ولا يحكم أذاه صدر ولا ورد، وإلا عاجلكم من عقوبتكم ما يجعلكم مثلاً سائراً

---

(١)محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص٢٧.

وحديثًا غابرا، فاتقوا الله في أنفسكم وأهليكم، وإياكم والاغترار، فإنه يورطكم فيما يـرديكم ويسوقكم فيما يشمت بكم، وكفى ا تبصرة وتذكرة، ليست لكم بعدها حجة ولا معـذرة، ولا توفيق إلا بالله تعالى). [1]

- تبدأ الرسالة بالنصح بالتوبة والإقلاع عما يقترف من جرائم والقصاص من النفس تجنبا لما هو أشد من التعرض لعاجل العقوبة التي ستكون أشد من القصاص من النفس؛ لأ ا ستجعلهم حديثًا غابرا، فلن يبقي منهم إلا أحاديث يتذكرها الناس؛ لأنه بعقابه لهم سيستأصل شأفتهم ويقضي عليهم.
- في قوله: (فإنه يورطكم فيما يردكيم) ـديد بأن مصيرهم الموت ودليل على ثقتـه بـالله في نصره.
- في قوله: (فيما يشمت بكم) استهزاء م وبقو م، ويحذرهم بأن مصيرهم الهزيمـة ولـيس الهزيمة فحسب بل سيكونوا محل سخرية على ألسنة الناس.

(١) ابن خاقان: قلائد العقيان، ص١٠٨.

- **الثناء والعتاب :**

**أولاً: الثناء:**

يعد غرض الثناء من الأغراض الشائكة في الأدب العربي بصفة عامة، وذلك لما يشـوبه من احتمال أن يكون الثناء والإطراء بهدف جلب العطايا واجترار الأموال، ولذلك فإن كـثيرا من عبارات الثناء تفتقد الصدق وتحوم الشكوك حول تحلي المثنى عليه بالصفات التي يسـبغها عليه المادح إذ ربما يكون الممدوح خاليا من تلك الصفات التي مدح بها إلا أن الأديب ألصق به هذه الصفات طمعا في نيل عطاء أو خوفًا من مضرة.

من هذا المنطلق تأتي نظرة الدارسين والنقاد لهذا الغرض في الأدب العربي بصفة عامـة، نظرة مختلفة ويكون التحليل منصبا على جزالة العبارات ورقي المعاني التي يريـد الأديـب أن يبرزها، بصرف النظر عن مدى صدقها.

ولكن الرسائل المتصلة ببحثنا هي الرسائل التي يقوم المدح فيها على الصفات الحربية من الشجاعة والإقدام والبلاء الحسن في الحروب وهي كثيرة ومنتشرة في الأدب الأندلسي ولكن لا تخلو أيضاً من صفات المبالغة التي يخلعها المادح على الممدوح.

ولنأخذ أمثلة على هذه الرسائل ونقوم بتحليلها :

فمن هذه الرسائل ما كتبه الحكم الربضي إلى قائده وعامله في سرقسطة يثني عليه، وقد أبلى بلاء حسنا في القضاء على حركة تمرد قامت في سرقسطة، وتمكن من جمع كلمة العـرب والبربر في ولايته، وقد جاء فيها: (أصبت رأيك فيما جمعت من كلمة الفريقين، وأصلحت من أمرهم، وقد عرفنا حسن رأيك وصواب سياستك فيما حملناك من أمانتهم، وعصبنا بك مـن أمرهم ووقع لك منا موقع المعرفة والسلام). (١)

يتضح من الرسالة تقدير المادح لفعل الممدوح من حرصه على جمع الكلمة وبخاصـة في وأد الفتنة.

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١١٩-١٢٠.

- يتضح من الرسالة أن المادح أعلى مكانة من الممدوح، فيكون إطراؤه عليه تقـدير الحـاكم لفعل أحد قواده.

- الرسالة جمعت فضائل سياسية إذا توافرت في قائد كان قائداً مثالياً تدل هذه الصفات علـى كفاءته وحسن تصرفه.

ومن رسائل الثناء رسالة المعتمد بن عباد إلى يوسف بن تاشفين والتي جاء فيها : (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه تسليماً، إلى حضرة الإمـام أمير المؤمنين وناصر الدين، محيي دعوة الخليفة الإمام، أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين، القـائم بعظيم إكبارها، الشاكر لإجلالها، المعظم لما عظم الله من كريم مقدارها، اللائذ بحرامها، المنقطع إلى سمو مجدها المستجير بالله وبطولها، محمد بن عباد، يخص الحضرة المعظمة السـامية.......، وأنت أيدك الله سيد حمير ومليكها الأكبر، وأميرها وزعيمها......). (١)

كانت هذه الرسالة هي الرسالة التي أرسلها ابن عباد ليوسف بن تاشفين للاستنجاد به وقد تضمنت الرسالة عبارات الثناء المذكورة.

بدأت الرسالة باعتراف منه بأن ابن تاشفين هو أمير المؤمنين وإمام المسـلمين ومحيـي الخلافة الإسلامية.

ثم يصف حال نفسه بأنه أحد الرعية المستجيرين بالخلافة حتى يكون ذلـك إمعانـاً في الإطراء ودافعاً للنصرة.

يصف ابن عباد المخاطب بقوله إنه سيد حمير ومليكها الأكبر ليكون ذلك دافعاً له على الاستجابة لمطلبه والإسراع لنجدته فهو يحاول استثارة الحمية الدينية والعصبية العربية.

ومن الرسائل التي تضمنت عبارات ثناء وإطراء رسالة ابن اسحق عن المقتدر بـالله إلى ابن عباد يعرفه بأمر أخيه صاحب لاردة والتي منها: (سيدي وأعلى عددي وأقوى عمدي..... ونعمة الله المستطيلة بيدي المناهضة لعضدي ومن أطال الله بقاه في عز رفيع المراتب وحرز منيع الجوانب.... وكتابي هذا من لاردة وقد استقرت بحمد على الدعة أسباب قريرها واتصل بجميع عونه تدبيرها، وتقضي، ابقاك الله، وكيد ما بيننا مقاسمتك الحال وتعرفك المبدي منها والمـآل،

(١)محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص٣٧.

فإنك الشريك في الحلو والمر، والمقيم في النفع والضر، وفي خلال هذا، أعزك الله، ما وردني ابن فلان خاصتك سلمه الله بكتابك الكريم، والمشتمل على أجفل البر والمقتضي لأجزل الشـكر، ووقف به من حقائق الأحوال لديك على كل ما بسط أملي وأكد جدلي وعظمت نعم الله.... وقد أصدر، أبقاه الله، متحملاً من صحة ودي وثبات عهدي وارتباط عقدي....) [1].

أرسل المقتدر هذه الرسالة على ابن عباد ليبرر له ما قام به نحو أخيه واشتلمت الرسالة على العديد من عبارات الإطراء لابن عباد التي تنم عن الولاء له.

يبدأ الرسالة بمخاطبته بكلمة سيدي لتأكيد الولاء.

يصفه بأنه نعمة الله المستطيلة التي من الله ا على الأمة.

يؤكد في اية الرسالة على حرصه على إطلاعه على كل الأمور لأنه شريكه في الحلـو والمر تأكيداً على استمرار المودة بينهما واتصالها. وهذه رسالة من أبي زكريا بـن العـربي لأبي محمد تاشفين يمدحه ويثني عليه وذلك بقوله :

| | |
|---|---|
| يا أيها الملك الذي يتقنع | منْ منكم البطلُ الْهمام الأروع |
| ومن الذي غدر العدو به دجى | فانفض كل وهو لا يتزعزع |
| تمضي الفوارس والطعانُ يصدها | عنه ويدحرها الوفاءُ فترجع |
| لولا رجالٌ كالجبالِ تعرضت | ما كان هذا السيلُ مما يودع |
| فثبت والأقدام تزلق والردى | حول السرادقِ والأسنة تقرع |
| لا يعظمن على الأميرِ فإ ا | خدع الحروبِ وكل حرب يخدع |
| يا أشجع الأبطالِ ليلة أمه | اليوم أنت مع التجاربِ أشجع |
| ها أنت من ملك على صغرٍ له | نظر صحيح والقنا تتصدع[2] |

يثني الشاعر على الممدوح فهو البطل الهمام الذي لا يتوقع منه غير الشجاعة والإقدام.

(١) عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص٤٥٣-٤٥٤.

(٢)محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص٩٣.

ثم يصف الشاعر ثباته حين زلت الأقدام وهابت الفوارس صولة المعركة حـين حمـي وطيسها واشتد لهيبها.

ويؤكد الشاعر أن الشجاعة والثبات ليست بالأمر المستغرب من الممدوح فهـو ورث الشجاعة والإقدام عن أسلافه الذين كان يضرب م المثل في ذلك.

كما يؤكد الشاعر أن الممدوح رغم صغر سنه إلا أنه بشجاعته وإقدامه يبين أنه يمتلك من خبرة الحروب ما يفوق من هم أكبر منه سنا، ويمتلك من فنون القتال ما لا يمتلكه أو يعرفه أقرانه.

وكتب ابن طاهر إلى ابن عبد العزيز يشكره ويثني على كرمه: ( من ذا يضاهيك، وإلى النجم مراميك، فشأوك لا يدرك، وشعبك لا يسلك، أقسم لأعقدن على علاك مـن الثنـاء إكليلاً، يذر اللحظ من سناه كليلاً، ولأطوفنه شرق البلاد وغر ا، ولأحملنه عجـم الرجـال وعر ا، وكيف لا وقد نصرتني نصرا مؤزرا، وصرفت عني الضيم عقيرا معفرا، وألبستني البـأو بردا مسهما، وأوليتني فضلاً متمما)(١).

يثني المرسل على المرسل له بنفيه أن يكون للمرسل له شبيه أو نظير.

يبرر الكاتب صعوبة إدراك أحد لمنـزلة المرسل له وذلك لعلو منـزلته الـتي قاربـت النجوم في العلو والارتفاع.

ثم يقسم الكاتب بأن يجتهد في الثناء على المرسل له حتى يكون ذلك الثناء تاجا علـى رأسه يفخر به، ويكون ذلك الثناء مشهورا ومنتشرا في شتى بقاع الأرض.

يبين الكاتب سبب عزمه على ذلك الاجتهاد في الثناء لعظم فضل المرسل إليه عليه فقد نصره وأواه وصرف عنه الضيم.

---

(١) المصدر السابق: ص١٨٢.

## ثانياً : العتاب :

العتاب هو أحد الأغراض الأدبية التي حفل ا الأدب العربي ما بين شعر ونثر، وتعددت مناحي اللوم والعتاب، ولكن ونحن بصدد الحديث عن الرسائل الحربية، فإن العتاب سـيكون مقصورا على تلك الرسائل التي تحمل عتاباً على تخاذل، أو عتاباً على استنجاد بالأعداء، كمـا قد يكون العتاب على الحكام المنغمسين في الملذات والشهوات وعدم اكتراثهم بضعف الأمـة، وعتاب على تخاذلهم، الذي جعل الأمة فريسة سهلة ولقمة سائغة في أيدي الأعداء، أو عتابـا على غزوهم بعضهم البعض.

ومن رسائل العتاب رسالة ابن هود إلى علي بن يوسف بن تاشفين لما علم بنيته في غزو مملكته شرق الأندلس وجاء فيها :

(وقد كان المستعين بالله خاطب أباك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فسأله الـدعوة ويرغب في الهدوء والاستعانة على العدو فأقام وأقمنا معه مريحين ومن تعب النفـاق فـرحين، فنمنا بنور الهداية الساطع الإشراق واغتنمنا الدعوة في هذه الآفاق، ثم دهمنا من جهتكم داهـم أبدى صفحته ونسيم بل عاصف أهدى إلينا نفحته، ولا يمكننا تسليم أيدينا إليكم يتحكم فينا الأذلان، ويتمكن في محالنا الاستنقاص بالحقور والاحتلال، ولم يتقدم منا إليكم ساءة جهـرة بالقول، ولا أمرت ولا أجلت بجنابكم لا غزو ولا ضـرر بـل نفـيض علـيكم اسـتمالتنا ونستعطفكم في كل حال مقالتنا، ولقد كان لكم فيما فعله أبوكم أمير المسلمين أسوة حسـنة وأيام كانت بيننا وبينه مستحسنة، فإن يكن الله أراد أمراً نفذه في خلقه فـلا راد لمشـيئته ولا حايد عن بليته وسيعلم مبرر هذا الرأي عندكم سوء مغبته وعظم هيئته في الفساد ورتبتـه والله حسيب من بغى بالتضريب بيننا وابتغى، وحسبنا الله وكفى والسلام) [(١)].

كان بعض أعوان علي بن يوسف قد زينوا له احتلال بلاد ابن هود التي تقع في شـرق الأندلس مبررين له ذلك بمهادنته للنصارى، فلما علم ابن هود بذلك أرسل له تلك الرسالة.

بدأت الرسالة بتذكير ابن هود لعلي بن يوسف بما كان من عهود بين دولته وبين أبيـه يوسف بن تاشفين.

---

(١) محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص٧١.

حرص المرسل في حديثه عن يوسف بن تاشفين أن يقول (أمير المسلمين) كنوع من الإطراء وإظهار المودة والتوقير.

يصف الحال التي كانت العلاقات عليها أثناء المودة كنوع من الترغيب في قبول الدعوة لاستمرار الهدنة.

يأخذ المرسل في عتاب علي بن يوسف بذكره أن الاعتداء لا مبرر له حيث لم يسبق منه له أي اعتداء بالقول أو بالفعل ولا يحمل له إلا كل ولاء ومودة واستعطاف.

يعيد تذكيره بما كان من أبيه من مودة وولاء وينصحه بأن يتخذ من أبيه أسوة حسنة.

ثم في نهاية الرسالة يشير إلى أن كل الأمور مقدرة وأنه راض بحكم الله مهما كان.

يختم الرسالة بالوعيد لمن زين له هذا الرأي في الدنيا والآخرة معلناً أن الله حسبه ووكيله.

وقد أدت هذه الرسالة الغرض منها حيث امتنع ابن يوسف عن غزو بلاده متأثراً بالعتاب البليغ الذي ساقه ابن هود في رسالته.

وفي هذا السياق تأتي رسالة ابن التاكرني التي يقسو فيها على الحكام ويأخذ في لومهم وتقريعهم وانغماسهم في الفتن وتجاهلهم لحرمة الدين والدم، ويؤنبهم على ما جره تصارعهم على المسلمين من فتن وويلات، وما ابتليت به الأمة من نكبات، ويفضح إدعائهم الزائف بالاستعداد للجهاد والدعوة إليه، يدعون ذلك مع انشغالهم بالصراعات الداخلية التي أضعفت المسلمين وأوهنت قوتهم.

ومما ورد في رسالته التي وجهها إلى أبي جعفر بن عباس:

(....... ألم تسلموا من كان بكم مشتداً، بعد العهود المؤكدة والمواثيق المشددة، فاحتل العدو- قصمه الله- جهة لم تخطر بباله واستصرختم فلم تصرخوا، واستنجدتم فلم تنجدوا، والنعم تنسف، والستور تنكشف، والدماء تسفك، والحرم تنتهك، والإسلام يعلز علز المحتضر، وأهل الشرك كالهشيم المحتظر، فلا حرمة الإسلام رعيتم ولا ذمام المشاركة قضيتم، فلم

تعدون ذلك من ذنوبنا، وتثبون رسلكم في البلاد وتنادون هلم إلى الجهاد، تقولون بأفواهكم ما ليس في قلوبكم والله يعلم ما تكتمون)[1].

- رسالة شديدة اللهجة تحتمل لوما وتوبيخا وعتابا.
- تبدأ الرسالة باستفهام تقريري استنكاري في قوله (ألم تسلموا من كان بكم مشتدا) يبين أ م خذلوا من كان يرى فيهم سندا وعونا فما وجد منهم إلا خذلاناً ونقضاً للعهود والمواثيق.
- يبين أ م بتخاذلهم هذا أعطوا العدو فرصة لم تكن تخطر بباله من احتلال جزء لم يرق إليه خياله.
- ثم يذكرهم بأ م استصرخوا فلم يصرخوا، واستنجدوا فلم ينجدوا، وكأ م أموات لا يسمعون.
- نعم كأ م أموات، فها هي الحرمات تنتهك، والدماء تسفك والنعم تنسف، والإسلام يحتضر ويستغيث هل من مغيث ولا جواب.
- يأخذ الكاتب في السخرية منهم والتهكم عليهم بقولهم إن ما يحدث إنما بذنوب الرعية رغم أ م غارقون في الذنوب، مستسلمين للشهوات، منصرفين إلى الملذات.
- ويستمر الكاتب في السخرية منهم بدعو م إلى الجهاد رغم تقاعسهم.
- يلاحظ استخدام الكاتب لألفاظ قرآنية مثل (الهشيم المحتظر) كما يلاحظ اقتباسه لآيات قرآنية مثل قوله : (تقولون بأفواهكم ما ليس في قلوبكم)، وقوله (والله يعلكم ما تكتمون).

ومن رسائل اللوم والعتاب تلك الرسالة التي وجهها المنصور ابن أبي عامر إلى جنده يلومهم فيها ويعاتبهم لنكوصهم عن محاربة الأعداء وفرارهم، ويصفهم باليعافير والرئال وهي إنشاء كاتبه الجزيري، يقول فيها :

(وكثيراً ما فرط من قولكم إنكم تجهلون قتال المعاقل والحصون، وتشتاقون ملاقاة الرجال الفحول، فحين جاءكم شانجة بالأمنية وقاتلكم بالشريطة، أنكرتم ما عرفتم ونافرتم ما ألفتم، حتى فررتم فرار اليعافير من آساد الغيل وأجفلتم إجفال الرئال من المقتصبين- والولا

---

(١) ابن بسام: الذخيرة، ق٣ م١، ص٢٣٧-٢٣٨.

رجال منكم ودحضوا عنكم العار- وحرروا رقابكم من الذل لبرئت من جماعتكم وشملت بالموجدة كافتكم وخرجت للإمام والأمة عن عهدتكم، ونصحت المسلمين في الاستبدال بكم)[1].

- يتضح أن الشعور بالمرارة هو الجو العام المهيمن على الرسالة.
- يذكر الكاتب جنوده بأنهم كثيراً ما كانوا يتحدثون عن رغبتهم في الجهاد وحبهم للقتال، فلما جاءت المعركة فروا خوفاً وهلعاً وأنكروا ما عرفوا ونفروا مما يدعون أنهم يألفونه من الحرب والتمرس بمكايدها.
- يمعن الكاتب في إهانة الجنود بوصفهم باليعافير والرئال وفرارهم أما عدوهم فرار الجرذان.
- يبرز الكاتب أنه مع أن الكثرة الكاثرة منهم فرت وأصابته بالخذلان إلا أن رجال منهم قليل ثبتوا في وجه العدو ودفعوا عن الأمة العار، ولولا ذلك لكان عمهم جميعاً غضبه وشمل الجميع موجدته وكراهيته لهم ونصح المسلمين باستبدالهم لأنهم غير جديرين بالدفاع عن الأمة وحماية ثغورها.

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام: ج٢، ص٧٢.

- **الحض على الجهاد :**

عندما نتحدث عن حضارة الأندلس نلاحظ أن ما اكتنف تلك الحضارة من أخطار وما صادفها من معوقات، كان هو أكبر وازع للحديث عن الجهاد في تلك الفترة، كان هو العامل الرئيس في استنفار قريحة الأدباء والخطباء لحض الناس على الجهاد دفاعاً عن عقيدتهم وأموالهم وأعراضهم، دفاعاً عن وجودهم وكينونتهم، لأن المسألة بالنسبة لهم أصبحت نكون أو لا نكون فلا مناص من الجهاد ولا مهرب من مواجهة العدو.

من هذا المنطلق يأتي عرضنا لرسائل الحض على الجهاد بوصفها أكثر الرسائل انتشاراً في تلك الفترة نظراً لما واجهه مسلمو الأندلس وقتها من أخطار هددت وجودهم في تلك البلاد، ولم تكن تلك الأخطار أخطاراً خارجية فقط، بل إن الأخطار الداخلية من فرقة وتشرذم وتصارع بين أبناء الملة الواحدة هي العامل الأول في استشعار الخطر وفي دفع الأدباء وأهل الدين والفكر والسياسة إلى الدعوة للجهاد والتصدي للكفار الذين بدأوا يعيثون في الأرض فسادا.

- ومن الأمثلة الدالة على الحض على الجهاد رسالة ابن عبد البر التي كتبها للمسلمين عامة على لسان أهل بربشتر يصف فيها حال المسلمين وما هم عليه من ذل وهوان فيقول فيها.

- (فلو رأيتم- معشر المسلمين- إخوانكم في الدين، وقد غلبوا على الأموال والأهلين، واستحكمت فيهم السيوف، واستولت عليهم الحتوف، وأثخنتهم الجراح وعبثت بهم زرق الرماح، وقد كثر الضجيج والعويل والنياح، ودماؤهم على أقدامهم تسيل سيل المطر بكل سبيل) [1].

- وهي من الرسائل التي تشير إلى مشاركة العلماء في الجهاد بالكلمة.

- وبدأ الكاتب الرسالة بقوله (فلو رأيتم) يدل على عظم وفظاعة ما يلاقيه المسلمون من هوان يعجز القلم عن وصفه.

- قوله: (معشر المسلمين) حض عام وحث على الغيرة على الدين وضرورة الجهاد دفاعاً عن الأمة.

---

(١) ابن بسام: الذخيرة، ق٣، م١، ص١٧٥.

- قوله (إخوانكم) تأكيد على رابطة الأخوة وما لها من حقوق يجب الوفاء ا.

- الإطناب في وصف الغلبة على الأموال واستحكام السيوف واستيلاء الحتوف ونقل الصورة البشعة لما عليه المسلمون من هوان ومذلة تستنفر الهمم للدفاع عنهم.

وما يدل في فقرة أخرى من الرسالة نفسها حاضاً على الجهاد مستنفراً للهمم قوله:

(والحذر الحذر فإنه رأس النظر من بركان تطاير منه شرر ملهب وطوفان تساقط منه قطر مرهب، قلما يؤمن من هذا إحراق، ومن ذلك إغراق، فتنبهوا قبل أن تنبهوا وقاتلوهم في أطرافهم قبل أن يقاتلوكم في أكنافكم، جاهدوهم في ثغورهم قبل أن يجاهدوكم في دوركم، ففينا متعظ لمن اتعظ، وعبرة لمن اعتبر) [(١)].

- فبعد أن أسهب الكاتب في وصف حال المسلمين المعتدى عليهم، وما آل إليه حالهم من ضعف لجأ إلى التحذير والدفع لاستشعار الخطر وكأنه يقول لهم : إن لم تبالوا بما حدث لنا، وإن لم تجاهدوا دفاعاً عنا فدافعوا عن أنفسكم لأن الاعتداء عليكم قادم لا محالة.

- بدأت الفقرة بقوله (الحذر الحذر) لبيان خطورة الموقف وضرورة الجهاد.

- قوله (فتنبهوا قبل أن تنبهوا) دليل على نفوره من حالة السبات التي كان فيها سائر المسلمين بالأندلس وعدم تقديرهم لخطورة الموقف.

- بعد أن نصحهم بضرورة التنبه، يلقي بعض الجمل الحماسية (قاتلوهم في دورهم... جاهدوهم في ثغورهم...).

- يختم الفقرة بالتعبير عن أن من لا يجدي معه كل هذا فلينظر إلى ما آل إليه حال مدينته ليتعظ ويعتبر.

ويواصل الكاتب حضه على الجهاد فيقول:

(وما ظنكم معشر المسلمين وقد رأيتم الجوامع والصوامع بعد تلاوة القرآن وحلاوة الآذان، مطبقة بالشرك والبهتان، مشحونة بالنواقيس والصلبان، عوضاً من شيعة الرحمن، والأئمة والمتدينون والقومة والمؤذنون، يجرهم الأعلاج كما تجر الذبائح إلى الذابح يكبون على

---

(١)المصدر السابق، ق٣، م١، ص١٧٦.

وجوههم في المساجد صاغرين، ثم أضرمت النار عليهم حتى احترق الجميع وهلكوا، والكفر يضحك والدين ينوح يبكي والعذاب ينكي، فيا ويلاه، ويا ذلاه، ويا كرباه، ويا قرآناه، ويا محمداه...) [1].

- فظاهر أن الفقرة تبدأ بمخاطبة المسلمين ووصف دور العبادة وما آلت إليه حالها استنفاراً للهمم واستفزازاً للمشاعر.
- وصفه للنواقيس والصلبان بديلة عن القرآن والأذان ليبين مدى الاعتداء الصارخ على الدين الذي يجب على كل مسلم الدفاع عنه.
- ثم ينتقل إلى وصف المتدينين والقوامين والمؤذنين وما يلاقونه من ذل وهوان في وصفه لهم بالذبائح التي تجر إلى الذابح.
- قوله: (الكفر يضحك والدين ينوح يبكي) دليل على أن هذا الدين هو المستنصر المستصرخ الذي يصرخ في أتباعه طالباً النجدة والإنقاذ.

يختم الفقرة بالاستغاثة والندبة للقرآن والرسول والمناداة بالذل والهوان أمر يثير المشاعر ويوقظ القلوب الغافلة وينبه العقول التائهة ويضرم النيران في الأعماق حزنا وكمدا وغضبا لحال هذا الدين والسعي إلى الموت في سبيل نصرته.

ثم يستكمل الوصف الذي يدمي القلوب ويطيش العقول ويكثر الأحزان قائلاً :

(ألا ترى ما حل بحملة القرآن وحفظة الإيمان، وصوام شهر رمضان، وحجاج بيت الله الحرام، والعاكفين على الصلاة والصيام والعاملين بالحلال والحرام، فلو شهدتم معشر المسلمين ذلك لطارت أكبادكم جزءاً وتقطعت قلوبكم قطعاً واستعذبتم طعم المنايا لموضع تلك الرزايا ولهجرت أسيافكم أغمادها وجفت أجفانكم رقادها امتعاضاً لعبدة الرحمن وحفظة القرآن وضعفة النساء والولدان، وانتقاماً من عبدة الطغيان وحملة الصلبان...) [2].

- يستمر الكاتب في عرض الصورة المؤلمة لحال المسلمين وما ألم م من نكبات تستدعي الهبة لنصر م والدفاع عنهم والانتقام من عدوهم.

---

(١) المصدر السابق: ق٣ ، م١، ص ١٧٦.

(٢) المصدر السابق: ق٣، م١، ص١٧٧.

- يعرض الكاتب للمسلمين حفظة القرآن، صوام شهر رمضان، حجاج بيت الله الحرام، العاكفين على الصلاة والصيام.

وكأنه يذكر سائر المسلمين يريد أن يقول: هؤلاء الذين يلاقون الذل والهوان هم مسلمون مثلكم يصومون ويصلون ويحجون، إلى متى تتقاعسون عن نصرتهم وإلى متى ستظلون غير مبالين بما ينالهم من عذاب وألم ؟

- ثم يستنفر الهمم مرة أخرى موضحاً أن وصفه مهما يكن لن ينقل الصورة كاملة فيقول لهم: (لو رأيتم...) وكأنه يريد أن يقول إنه عاجز عن وصف سوء الحال وسوء المآل ولو رأيتم ذلك لاستفزكم المنظر فتركت سيوفكم غمادها ولم يكتحل لكم جفن بالكرى من هول ما ترون.

- ثم يختم الفقرة بأمر مثير للنخوة والرجولة وذلك بالحديث عن النساء والغلمان بوصفهم مسلمين ضعفاء يجب على كل ذي نخوة أن يهب لنصرتهم والدفاع عنهم. وكان سقوط مدينة بربشتر الإسلامية عاملاً مثيراً لمشاعر وعواطف المسلمين عامة والكتاب الأندلسيين خاصة ومن هؤلاء الفقيه الكاتب أبي حفص الهوزني الذي عبر عن مشاعره تلك في رسالة طويلة يخاطب بها المعتضد بن عباد ليحثه على الجهاد ويستثير نخوته وعزيمته يقول فيها:

(فانتهز فرصتها فقد بان من غيرك العجز، وطبق مضاربها، فكأن قد أمكنك الحز وما زلت أعتدك لمثل هذه الجولة وزراً وأدخرك في ملمها ملجأ وعصراً لدلائل أوضحت فيك الغيب وشواهد رفعت من أمرك الريب ففضلكم في الأعناق أطواق ومجدكم للأفاق إشراق)[1].

- يلجأ الكاتب إلى أسلوب المدح المباشر وغير المباشر وهو أسلوب مختلف في استنفار الهمم فيقول للمخاطب إنه رجل المهام الصعبة وأنه حينما يعجز الجميع فلا رجل للأمة إلا هو محاولاً استثارة نخوته وعزيمته وتحريك دوافع الجهاد في نفسه ليدفع العدو الجاثم على نفوس المسلمين في بربشتر بعد أن توانى الآخرون عن نجدتهم وجميع المسلمين ينظر له بعين الترقب والانتظار فعليه بالإسراع لنجدتهم.

---

(١) المصدر نفسه: ق٢، م١، ص٨٦-٨٧.

ومن الكتاب من لجأ إلى التذكير بأن الجهاد واجب شرعي جاء به القرآن وحضت عليه السنة.

وفي فصل آخر من الرسالة يقول: (وقد ندب الله مسلمي عباده إلى الجهاد في غير ما آية من الكتاب، يضيق عن حصرها الخطاب ترغيباً وترهيباً، فوعد المطيعين جزيل ثوابه والعاصين أليم عقابه، والرواية عنه عليه السلام في فضل الجهاد، وما يجازي فيه رب العباد أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر، فالله الله في إجابة داعينا وتلبية منادينا، قبل أن تصطدع صفاتنا كصدع الزجاج، فهناك لا ينفع العلاج) [١].

- هنا يحض الكاتب المسلمين على الجهاد من أجل نصرة دينهم وأخوا م ورفع راية الإسلام التي نكسها هؤلاء الكفار ودنسوا الكتاب الكريم بتمزيقه، فقد دعا الله عز وجل إلى الجهاد في كثير من آيات القرآن ترغيباً في نيل رضا الله والفوز بالجنة عند الشهادة وترهيباً لمن يتكاسل أو يتراخى عن تلبية الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله، فالله الله في إجابة داعي الجهاد قبل فوات الأوان وضياع الفرصة وإلا فلن ينفع العلاج عندئذ ولا الندم.
- ثم يقول : (ولابد للحق من دولة، وللباطل من جولة، والحرب سجال، والدهر دول، (ولكل أمة أجل) [يونس ٤٩]، ولولا فرط الذنوب، لما كان لريحهم علينا من هبوب، ولو كان شملنا منتظماً وشعبنا ملتئماً وكنا كالجوارح في الجسد اشتباكاً وكالأنامل في اليد اشتراكاً، لما طاش لنا سهم ولا سقط لنا نجم ولا ذل لنا حزب ولا فل لنا غرب ولا روع لنا سرب ولا كدر لنا شرب، ولكنا عليهم ظاهرين إلى يوم الدين....) [٢].
- يسعى الكاتب إلى بث الثقة في المسلمين بأن الحق لابد أن ينتصر والتأكيد على أن الحرب سجال والدهر دول وأن الهزيمة يمكن أن تتحول إلى نصر ولكن ذلك يتوقف على نية المسلمين وحماستهم وغير م على دينهم.
- ثم يبين الكاتب السبب في الهزيمة فيذكر أن الذنوب والمعاصي هي السبب في ما حل بالمسلمين من نكبات كما أن الفرقة والتشرذم كان لهما الأثر الأكبر في نكسة المسلمين

---

(١) المصدر السابق: ق٣ م١، ص١٧٧-١٧٨.

(٢) المصدر السابق: ق٣ م١، ص١٧٨.

وهزيمتهم ولا خلاص للمسلمين مما هم فيه إلا بالجهاد والعودة على طريق الله، فلو كان المسلمون متحدين لما استطاع أحد أن يكسر شوكتهم ويفت في عضدهم.

- وكأن الكاتب يتحدث عن حال المسلمين اليوم وما يلاقونه من ضعف وهوان.

- ثم يؤكد الكاتب على أن الأمة يجب أن تتحد وتسعى للخلاص من عدوها فيقول:

(وإنه إن استلبت الأطراف لم يتعذر الإنصاف، والبعض للبعض سبب، والرأس من الذنب، غير أنا دنونا وبعدتم وشقينا وسعدتم، ورأينا وسمعتم، وليس الخبر كالعيان، ولا الظن كالعرفان ولقد آن أن يبصر الأعمى وينشط الكسلان، ويستيقظ النومان، ويشجع الجبان)[1].

- يلجأ الكاتب في آخر رسالته إلى التذكير بأن الأمة يجب أن تكون كالجسد الواحد وأن ما حدث لأهل بربشتر ليس ببعيد عن المسلمين كافة في الأندلس، ثم يلجأ إلى بيان الفارق الطفيف بين أهل بربشتر وبين سائر المسلمين يقول: (إنا دنونا وبعدتم ورأينا وسمعتم) ليوقظ ضمائرهم وينبه عقولهم إلى الخطر المحدق بهم والذي يجب عليهم مواجهته بالجهاد دفاعاً عن دينهم وإخوانهم وأنفسهم وكرامتهم، وأنه لا مناص من ذلك؛ لأن الخطر يوماً ما سيطرق أبوابهم ويقض مضاجعهم، فلا سبيل إلى النجاة إلا برفع راية الجهاد والاتحاد في مواجهة هذا العدو المتربص بالإسلام والمسلمين منذ سنوات عديدة، ولكنه بدأ في التكشير عن أنيابه مظهراً أطماعه مستغلاً الحالة المتردية للمسلمين وتفرق جمعهم وتشتت شملهم وانشغالهم بالدنيا والسعي إلى جمع المال واللهو وترك شئون الرعية مما أضعف الأمة وساعد هؤلاء الكفار على تحقيق أطماعهم.

ومن رسائل الحض على الجهاد رسالة قاضي سرقسطة إلى الأمير أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين وفيها يقول : (..... وقد ضمن الله تعالى لمن يجاهد في سبيله أن ينصره، ولمن حامى عن دينه أن يؤيده ويظهره، فما هذا أيها الأمير؟! ألا ترغب في رضوانه؟ واشتراء جنانه بمقارعة شيطانه والدفاع عن أصل إيمانه؟ فاستعن بالله على عدوه وحربه، واعمد ببصيرة في ذات الله إلى أخوان الشيطان وحزبه، فإنهم أغراض المنايا والحتوف، وبرز للرماح والسيوف، ولا ترض بخطة العار، وسوء الذكر في جميع الأمصار، ولا تكن كمن قيل فيه :

---

(١) المصدر نفسه: ق٣ م١، ص١٧٨.

يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو ولا يرزا من العـدو فتيـلاً[1]

يبدأ الشاعر هذه الفقرة من الرسالة ببيان ما أعده الله لمن يجاهد في سبيله مـن أجـر عظيم، كما أن الله ضامن النصر لمن يدافع عن دينه (ولينصرن الله من ينصره).

ثم يتساءل مستنكراً ومستغرباً من موقف الأمير المتخاذل عن نصرة دين الله، ويوجه إليه تساؤلاً لا يحتمل إلا جواباً واحداً، فكيف لأحد لا يرغب في رضوان الله؟! وكيف لأحـد أن يزهد في الجنة وينشغل عنها بحطام الدنيا، ثم ينصحه بالاستعانة بالله والسعي لمحاربة أعـداء الله، لأن الفرصة سانحة في هذا الوقت للانتقام لدين الله من إخوان الشياطين، ثم يحذره من خطـة العار وسوء الذكر في الأمصار لأن التاريخ لن يرحمه إذا تخاذل عن الجهاد في سبيل الله في هذه الظروف التي تمر ا الأمة، كما سيسوء ذكره في كل الأمصار بانصرافه عن الجهاد في سـبيل الله.

(١) مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي، ص٤٧.

- **سير المعارك :**

يعد وصف المعارك وذكر تفاصيلها من الموضوعات المهمة التي عالجها أدب الرسائل في الأندلس، لأن الحياة في الأندلس كان جلها صراعات، سواء صراعات داخلية بين ملوك الطوائف بعضهم بعضاً أو صراعات خارجية مع العدو من النصارى وقد كثرت الرسائل التي تصف المعارك وسيرها، وما تحفل به تلك المعارك من بطولات وتضحيات، وما ينتج عنها من انتصارات وانكسارات، وكانت هذه الرسائل تم بأدق تفاصيل المعارك من أعداد الجند والآلات الحربية والعدة والعتاد المستخدمة في المعارك.

وكان بعض هذه الرسائل يمثل تحليلاً عسكرياً، إذ يحرص على بيان ظروف الهزائم أو الانتصارات وأسباب هذه أو تلك، كما يتحدث عن طريقة سير المعركة وأحداثها بتفصيل دقيق.

ولعل اللافت للنظر في هذه الرسائل أ ا لم تكن مقصورة على الأدباء والكتاب فقط، وإنما كتب كثيراً من هذه الرسائل القواد والأمراء وذلك لقدر م على وصف سير المعارك وصفاً دقيقاً قد يعجز عنه الأدباء وذلك لفارق الخبرة بين الطائفتين في هذه الناحية.

وكان في مقدمة تلك الرسائل، رسالة كتبها يوسف بن تاشفين إلى تميم بن باديس يصف فيها جوازه الأندلس وجهاده فيها، وما كان من هزيمة أذفونش في معركة الزلاقة التي كان لها أثر عظيم في نفوس المسلمين، فقد أشاد الكتاب ذا الانتصار الباهر والأمل العظيم الذي بعثه في نفوسهم، وتغنوا بالجهود العظيمة والحماسة الفائقة التي تحلت ا الجيوش الإسلامية وقاد ا.

أما عن رسالة يوسف بن تاشفين فقد جاء فيها :

(... وجوزنا للعدو أسودا ضارية، وسباعا عادية، شيبا وشبانا، بسواق قوية وقلوب في سبيل الله نقية، قد عرفوا الحرب وجربوها، فهي أمهم وهم بنوها يتلحظون تلحظ الفهود، ويزأرون زئير الأسود... ورد علينا بكتائب قد ملأت الآفاق وتقلبت تقلب الحتوف للأحداق،

واستلموا الدروع للكفاح، وربطوا في سوقهم الألواح، وبطو م ملأى من الخمور، يقدرون أن الدائرة علينا تدور...)[1].

- يبدأ الكاتب بالثناء على جنوده ا اهدين ويصفهم بالأسود الضارية تعـبيراً عـن قـو م وبسالتهم ويمعن في وصفهم بالسباع العادية الساعية إلى التهام أعدائها.
- قوله: (شيباً وشباناً) يدل على استواء القوة والرغبة عند جميع المقاتلين سواء كانوا شـيباً أو شباناً، كما أن الجمع بين الشباب والكهول تعبير عن رغبة الجميع في الجهاد وحرصهم على دك حصون العدو وقهره لم يمنعهم عن ذلك كبر سن ولا ضعف قوة فأصبح الشيب شباناً لرغبتهم في الفتك بعدوهم.
- ثم يصف قلو م بالنقاء والإخلاص في سبيل الله، فهم ما خرجوا لقتال عدوهم طلباً لـدنيا وإنما خرجوا ابتغاء مرضاة الله وطمعاً في جنته وحماية لدينه.
- قوله: (قد عرفوا الحرب وجربوها، فهي أمهم) دليل على خبر م وتمرسـهم في الحـروب، وقوله: (فهي أمهم) يقصد بذلك أ م أبناء حروب وأبناء قتال، فليست الحـرب بجديـدة عليهم فلا تثير في نفوسهم جزعا ولا هلعا، كما أن الحرب أمهم دليل علـى حبـهم لهـا وسعيهم إلى الجهاد في سبيل الله مهما كانت الصعاب.
- قوله: (يتلحظون تلحظ الفهود ويزأرون زئير الأسود) دليل على اشتداد رغبتهم في الفتـك بعدوهم وقوة رغبتهم في التهامه والقضاء عليه.
- قوله: (ورد علينا بكتائب ملأت الآفاق....) إشارة إلى أن الحرب لم تكن سهلة، ولم يكـن العدو خصماً هيناً، فقد جاء بأعداد كثيرة وجيوش جرارة تسد الأفق، فليس للعدو مسوغ من قلة أو عتاد.
- قوله (قد استلموا الدروع للكفاح...) إشارة إلى صلف العدو واستعداده وغروره والتأهـب للقتال، ظاناً ضعف المسلمين وسهولة كسر شوكتهم.

---

(١) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص٤٤٦.

- قوله: (بطو م ملأى من الخمور) استخدم الكاتب هذا التعبير ليعقد مقارنة بين أهل الإيمان وأهل العصيان فهم جاءوا للحرب متسلحين بالخمور ولكن المسلمين جـاءوا متسـلحين بالإيمان بالله وقوة العزيمة ومعرفتهم لقيمة الجهاد في سبيل الله.

- (بطو م ملأى من الخمور) يريد الكاتب أن يبين أن إحساس العدو بسهولة القضـاء علـى المسلمين إنما بسبب لعب الخمور برؤوسهم فطاشت عقولهم وصورت لهم الأمر على غـير حقيقة من سهولة الانتصار على المسلمين وضعفهم وما كان ذلك إلا بسبب الخبل الـذي أصا م جرار تعاطيهم الخمور أو أراد الكاتب أن يقول إن ظنهم بسهولة الانتصـار علـى المسلمين ليس له تفسير إلا أن بطو م ملأى بالخمور وأخذ الكاتب يسـهب في وصـف المعركة وما شا ا من أحداث فقال : (فحملوا علينا كالسهام، فثبت الله أقدامنا، وقـوى أفئدتنا، والملائكة معنا، والله تعالى ولي النصر لنا فولوا هاربين، وفروا ذاهـبين، وتسـاقط أكثرهم بقدر الله دون طعنة تلحقه، ولا ضربة تثخنه، وأضعف الرعب أيديهم فقطعنـاهم بالسمهرية دون الوخز بالإبر، وضاقت م الأرض بما رحبت، حتى أن هار م لا يرى شيئًا إلا ظنه رجلاً)[1].

- أخذ الكاتب في وصف المعركة مظهراً غرور العدو وصلفه وتجبره فهجم كالسـهام علـى المسلمين، واستخدام لفظة (السهام) في وصفه الهجوم يدل على سرعة انقضاضهم وحـدة هجومهم.

- قوله: (فثبت الله أقدامنا...) إشارة إلى أن الثبات جاء من عند الله، لأن هـؤلاء ا اهـدين خرجوا في سبيل الله فثبت الله أقدامهم، واستخدم لفظاً مقتبساً من القرآن الكريم ليدلل على عميق إيمانه وإيمان ا اهدين معه وثبا م رغم اندفاع العدو نحوهم فثبت الله أقدامهم، وقوى أفئد م بعميق الإيمان الكامن في أعماق نفوسهم وثقتهم في وعد الله لهم، فلم يتزلزلـوا أو يهابوا العدو، وإنما وقفوا رابطي الجأش، أقوياء الشكيمة، ثابتي الأقدام، مطمئني القلوب.

(١) المصدر السابق، ص٤٤٨.

- ومن ذلك أيضاً قوله: (... والملائكة معنا) دليل عن ثقة إيمانية بأنهم جنود الله، وكفى بذلك معيناً على النصر، واستخدام لفظ الملائكة دليل على أن الله يؤيد عباده الصالحين بجنود من عنده ويمدهم بمدده وذلك بحوله وقوته.

- قوله: (والله تعالى ولي النصر لنا) إشارة إلى ثقته بأن الله يضمن لهم النصر والظفر، فولي النصر أي: ضامنه، وذلك وعده لعباده المهتدين.

- قوله: (فولوا هاربين...) دليل على فزعهم ورعبهم من المسلمين لأنهم لما حملوا عليهم كالسهام، ورأوا ثباتهم، ورباطة جأشهم قذف الله الرعب في قلوبهم فأسرعوا بالفرار حتى أن أكثرهم مات دون طعنة سيف أو رمية رمح بقدر الله وذلك قد يكون الكاتب يقصد به أنه مات رعباً وهلعاً لما رأى من ثبات المسلمين.

- قوله: (... وضاقت عليهم الأرض بما رحبت) اقتباس قرآني يدل على عميق إيمان الكاتب واستمرار لتصوير حالة العدو وانكساره.

- قوله: (حتى أن هار م...) تصوير للرعب والفزع الذي أصاب العدو وذلك اقتباس قرآني مستتر من قوله تعالى: (يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو) فهم من شدة خوفهم ورعبهم طاشت عقولهم حتى أصبح الهلع صفة غالبة عليهم فأصبحوا يخافون كل شئ وأي شئ.

ومن الرسائل التي كتبت لشرح ظروف الهزائم وتبيين أسبابها وطريقة سير المعركة، تلك الرسالة التي وجهها عبد الرحمن الناصر إلى قواده وأنصاره يشرح فيها طريقة سير المعركة في غزوة الخندق سنة ٣٢٧هـ وهي من إنشاء كاتب الرسائل، عيسى بن فطين وفيها يقول: (وتخير أمير المؤمنين كدية سامية يتطلع منها على عسكر المسلمين فأمر بالاضطراب فيها للعسكر وتقدمت الخيول بين يديه، وقد تلاحقت جموع الكفرة وقدموا صلبانهم ووثقوا بشيطانهم الذي غرهم وكان المسلمون على نشطة إلى لقائهم، فلم ينتظر أولهم إلى توافي أخرهم، ولا فارسهم أن يقتعد براجلهم، وتخطوا الرماح إلى السيوف، والطعن إلى الضرب، وكروا في حومة المنايا كر من يحمي خليله ويخشى بعد ساعة أن تسبى ذريته، فلم ير المسلمون حرباً أشد منها، ولا شهدوا يوم وغى أطول من يومهم ذاك ونصر الله تعالى يهون عليهم ما هم فيه حتى فضوا جموع المشركين وزلزلوا ردوءهم التي كانت أكاليل الجبال وردم الشعاب،

وضموهم إلى معسكرهم وأثارت سنابك الخيل من القتام ما غيب من كان في القلب عمن يليه من يمين الحرب ويسارها... وانحاز المسلمون إلى معسكرهم، قد قتلوا من أعـلام المشـركين وقوامسهم وأهل البأس من فرسان الحرب، ومن صبر لوقع السيف، فكانت مصيبتهم بمن قتـل منهم عظيمة) [١].

- بدأ الكاتب في وصفه للمعركة بوصف حسن إدارة أمير المؤمنين لها واختياره مكان يشرف منه على جنده ويعطيهم تعليماته الحربية التي تقودهم إلى النصر.
- وصف الكاتب جيوش العدو بالكثرة، وذلك في قوله: (وتلاحقت جموع الكفرة) ثم بين أ م قدموا صلبا م بين أيديهم دليل واضح على أن الحرب دينية عقائدية وبين الغي والضلال في قلو م بقوله: (ووثقوا بشيطا م الذي غرهم) فصور كثرة جموعهم وتقديم صلبا م وسعيهم إلى قتال المسلمين بأنه غرور من الشيطان الذي استزلهم وأعمى قلو م وأبصارهم.
- ثم عاد الكاتب ليصف جيش المسلمين الذين كانوا نشطاء للقاء العدو، شرهين للفتك ـم، حتى أن أولهم لم ينتظر أخرهم، وراكبهم لم ينتظر راجلهم.
- وبدا ذلك في حر م فاستخدموا الرماح بدلاً من السيوف لقلة صبرهم على عدوهم، وأثروا الضرب على الطعن والمبارزة لشوقهم لإراقة دماء أعدائهم، فلم يكن لديهم صبر للمبـارزة وإنما فتكوا بعدوهم ضرباً وطعناً.
- قوله: (وكروا في حومة المنايا...) تصوير لحال ا اهدين في المعركة وكأ م وهم يدافعون عن دينهم يدافعون عن ذراريهم وأخلائهم فكانوا مستبسلين في القتال أشد الاستبسال.
- قوله: (ونصر الله تعالى يهون عليهم ما هم فيه...) دليل على أن ثقتهم بوعد الله وحبهم لله ورسوله والسعي لنصرة دينه كان هو الوازع الأكبر في استماتتهم في القتال، فهم يقـاتلون لنصرة الله عز وجل وجعل كلمته هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.
- أبرز الكاتب طبيعة هذه المعركة بتوضيح أ ا معركة دينية عقائدية، وفي سبيل ذلك استخدم الألفاظ الدينية المعبرة، فاستخدم لفظ الصلبان، والشيطان للحديث عن ما يقدمه العدو بين يديه، وتحدث عن الله سبحانه وحب المسلمين له حين تحدث عن حالهم أثناء المعركة.

---

(١) المصدر السابق، ص٧١١-٧١٢.

- خلص في النهاية إلى الحديث عن نتيجة المعركة التي انتهت بانتصار المسلمين انتصاراً ساحقاً وقضوا فيه على عدوهم المتغطرس وصور حصونه بأ ا أكاليل الجبال، ورغم ذلك فقد نجح المسلمون في فض حصونه وزلزلة ردوئه.

- ووصف المعركة بأن الغبار المتطاير من أقدام الخيول نشر الظلمة على أرض المعركـة فلـم يعرف الجيش معالم سواء قلب أو ميمنة أو ميسرة وهذا دليل على شدة المعركـة وقو ـا وإشارة إلى بسالة المسلمين واستماتتهم في الدفاع عن دينهم واستسهال الموت في سبيل الله رغبة في نيل رضاه وطمعاً في دخول جنته.

وإذا كان سقوط بربشتر قد أفرز فنوناً مختلفة من الرسائل سواء تلك الرسـائل الـتي كانت تحض على الجهاد أو تلك الرسائل التي تبين الهزائم والنكبات، فإن غرض سير المعارك لم يخرج من هذه المدينة خالي الوفاض، فقد أورد ابن بسام من حديث المصيبة الفادحة في بربشتر واصفاً سير المعركة، كما وصفها محمد بن عبد الله الفقيه، فيقول :

(إن جيش الأردمانيين طنبوا عليها، ووالوا حصرها وجدوا في قتالها طامعين فيها، وقد أسلمهم أميرهم يوسف بن سليمان بن هود إلى خطبهم، ووكلهم إلى أنفسهم، وقد عن النفير نحوهم، فأقام عليها العدو منازلاً أربعين يوماً ووقع بين أهلها تنازع على القوت لقلته، ولما علم العدو بذلك جد في القتال، فدخل الكفرة المدينة البرانية في نحو خمسة آلاف دارع، فبهت الناس وتحصنوا بمدينتهم الداخلة ودارت بينهم حرب شديدة، قتل فيها من النصارى خمسمائة ثم اتفق من قدر الله أن قناة من عمل الأوائل، سرباً تحت الأرض بتقدير موزون إلى أن أفضت إلى شط النهر، فا ارت في نفس ذلك السرب صخرة عظيمة الجرم من حجارة بنايـة الأول سـدت السرب بأسره، فعدموا الماء وأيسوا من الحياة ودعوا إلى تأمينهم على النـزول بأنفسهم خاصة دون مال وعيال، فأعطاهم أعداء الله ذلك فلما خرجوا نكثوا م، وقتلوا معاً، ولم يطلقوا منهم غير قائدهم ابن الطويل وقاضيهم عيسى، في نفر من الوجوه قليل) (1).

- هذا نوع آخر من وصف المعارك يصور فيه الكاتب حصار الجيش للمدينة طمعاً في الاستيلاء عليها.

---

(1) ابن بسام: الذخيرة، ق٣ ، م١ ، ص١٨١-١٨٢.

- يبين الكاتب أن الهزائم تأتي من الداخل قبل الخارج وذلك بحديث عن الأمير يوسـف بـن سليمان وتخاذله وعدم نصرته لدينه وأهله.

- يبرز الكاتب مدة الحصار محدداً لها بأربعين يوما.

- يبرز الكاتب حال المسلمين أثناء الحصار إلى الحد الذي وصل  م إلى الاقتتال على القوت.

يتحدث عن خبث العدو الذي انقض على المدينة حين علم بالتقاتل على القوت فأيقن بسهولة دخولها والاستيلاء عليا.

- يبرز في أخر الرسالة غدر الكفار ونقضهم لعهودهم مع المسلمين.

ومنها ما قاله الحكم الربضي:

| | |
|---|---|
| غناء صليل البيض أشهى إلى الأذن | من اللحن في الأوتار واللهو والردن |
| إذا اختلفت زرق الأسنة والقنا | أرتك نجوماً يطلعن من الطعن |
| ا يهتدي الساري وتنكشف الدجى | وتستشعر الدنيا لباساً من الأمن |
| شققت غمار الموت تخطئ مهجتي | سهام ردى قبلي أصابت ذوي الجبن |
| إذا لفحت ريح الظهائر لم يكن | لفاعي فيها غير فئ القنا اللدن |
| وإن لم يجد حصناً سوى ابقر مقدم | فمالي غير السيف والرمح من حصن |
| قذفت  م من فوق  ماء فانزوت | له الأرض واستولى على السهل والحزن |
| فسار يروي كل صديان حائم | وسح كما سحت عزال مـن المـزن |
| وإن عن للتيار من سيلانه | ذرى شاهق أضحى كمنتفش العهـن |
| هنأت به حرباً تقشع بحرها | بحمل هناء لـيس يصـلح للبـدن(١) |

يبين الشاعر عشقه للجهاد في سبيل الله، فهو يشبه صوت صليل السيوف بالغناء ويرى أن الأذن تلذ بسماعه أكثر من تلذذها بالألحان وعزف الأوتار.

(١) ابن الأبار : الحلة السيراء، ج١، ص٤٩.

يواصل الشاعر تبيين عشقه للحروب فيقول للمخاطب إن الرماح عندما تتقارع فإنـه يرى النجوم في غير وقتها يريد أن يقول أ ا تحيل ار الرائي إلى ليل.

يقول أنه لا يهاب القتال ولا يخشى الموت وأن المنايا أصابت قبله الكثير مـن الجبنـاء الذين لم تخطئهم سهام الموت رغم حرصهم على الحياة وفرارهم من القتال.

يصف الشاعر شجاعته وإقدامه وإسالته لدماء الأعداء وتدفق تلـك الـدماء بسـبب ضربات سيفه المتوالية.

وله أيضاً :

| | |
|---|---|
| ولما تساقينا سجال حروبنـا | سقيتهم سجلاً من المـوت ناقعـاً |
| وهل زدت أن وفيتهم صاع قرضهم | فلاقوا منايا قـدرت ومصـارعاً[1] |

يصف الكاتب لقاءه بأعدائه فيقول إن هذا اللقاء شهد تجريعه الموت لأعدائه ويقول أن طعم هذا الموت كان مراً لأنه جرعهم إياه رغماً عنهم.

ثم يقول إنه لم يزد عن أن رد لهم الصاع بمثله لسابق عدوا م فلاقوا المنايا والموت المقدر عليهم.

(١) المصدر السابق، ص ٤٨.

- **التهنئة والنصر:**

من المنطقي أن يكون غرض التهنئة والنصر من الأغراض الأدبية المهمة والمنتشرة في الرسائل الأدبية الأندلسية، وذلك لطبيعة هذا الغرض التي تتناسب مع المناخ العام السائد في الأندلس في تلك الفترة من صراعات واضطرابات سواء كانت تلك الصراعات داخلية أم خارجية.

وكانت تلك الرسائل مشتملة على الرسائل التي يرسلها القواد إلى الخليفة أو الأمير لإخباره بالفتح و نئته بالنصر على أعداء الدولة من الثائرين والخارجين على الحكم، أو التهنئة بالفتوحات العظيمة التي حققتها الجيوش الأندلسية، وقد تكون الرسائل من الخلفية نفسه إلى القواد في الآفاق لتهنئتهم بنصر حققوه أو بلد فتحوه.

والعامل المشترك بين تلك الرسائل كان التأكيد على أن هذا النصر من عند الله والتأكيد على أن القيام بالحرب والفتح كان لإعلاء كلمة الله، حيث كان الخلفاء والقواد يصبغون رسائلهم بالصبغة الدينية مؤكدين على أ م جند الله في أرضه، وأن مقصادهم من هذه الحروب ليست دنيوية وإنما هي أسباب أخروية تلك التي دعتهم للجهاد والقتال، كما كانت الرسائل تسهب في وصف البسالة والاستماتة التي كان عليها الجنود ليجعلوا كلمة الله هي العليا.

من هذه الرسائل ما كتبه عبد الرحمن الناصر إلى الآفاق بعد انتصاره على حفص بن عمر بن حفصون وفتح قلعة بربشتر سنة ٣١٥هـ وقد بدأ رسالته بالحديث عن سياسة الدولة في الجهاد ضد أعداء الله من أهل الشقاق والنفاق والظفر م والانتصار عليهم فيقول :

(ثم إنا لم نزل منذ شرفنا الله بخلافته واختصنا بإمامة عباده نبتغي الغاية القصوى في جهاد أعدائه ونداب في نصر أوليائه ولا تلفتنا عن ذلك لفتة سامة ولا يلهينا عن ذلك دعة حين امتلأت الأرض كفراً وفاضت شركاً وتوطد النفاق واستعجل الشقاق... فلم نزل نبخعهم ونتحراهم واحدا بعد واحد ونستتر لهم عن معقل بعد معقل، حتى أذل الله عز م وسكن ثور م وأوهن كيدهم وشتت جمعهم وزلزل م وأخلى معاقلهم وقيدوا إلى الطاعة صغرة بجرائمهم[1].

---

(١) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص٤٥١.

- يبدأ الكاتب الرسالة بالحديث عن سياسة الدولة في الجهاد ضد أعـداء الله، وفي أن ذلـك الجهاد هو دأبه وديدنه وهو دافعه لمطارده الخارجين والمارقين وفي أن هذا الجهاد لا يصرفهم عنه صارف، فهو بغيتهم العليا وهدفهم الأسمى الذي نذروا حيا م لتحقيقه أملاً في رضا الله وحرصاً على طاعته.

- ثم يسهب الكاتب في وصف حال الأرض من انتشار الكفر وتطاول السفلة وتوطد النفـاق واستعجال الشقاق وكثرة أسباب الدنيا بين يدي أهل الكفر والشرك والشقاق، مما يستدعي غيرة كل محب لله ورسوله وهبته في الدفاع عن دينه.

- ثم يبرز الكاتب الجهود المبذولة في مجاهدة الخارجين والمنافقين وضرورة التحلي بالصـبر في مواجهتهم؛ لأن النصر مع الصبر في كل الأمور.

- ويختم الرسالة بإبراز التهنئة بالظفر م والانتصار عليهم، مرجع ذلك إلى قدرة الله وعزتـه، فهو الذي أذلهم بعد عز، وأضعفهم بعد قوة.

ومن رسالة الأمير أبي يعقوب يوسف بن تاشفين: (الحمد لله الذي من علينا بالإسلام، وفضلنا بمحمد عليه السلام، أحمده حمدا يوجب المزيد من آلائه... وجوزنا للعدو أسوداً ضارية سباعاً عادية، شيباً وشباناً بسواعد قوية وقلوب في سبيل الله نقية، قد عرفوا الحروب وجربوها، فهي أمهم وهم بنوها، يتلمظون تلمظ الفهود ويزأرون زئير الأسود، فشحنا ـم القـوارب، وأوسعناهم على ظهور المراكب، فخرجنا في مرسى الجزيرة الخضراء من دياره، وفقه الله، ففزع الناس من كل أفق إليهم، ووفدوا من كل قطر إليهم، متعجبين من هيئتهم، محتقرين لزيهم....، ومع ذلك لا ينالون إلا جف الريق، ومسح العرق، وقدروا أ م طعـم للسـيوف، وغـرض للحتوف، وسعد للأرماح، و ب للسلاح، فكل استصغرهم، والجميع منهم احتقرهم، وتبلـغ إلينا أخبارهم وأقوالهم، وتنتهي إلينا أفعالهم، ثم أتبعناهم جيشاً بعد جيش، بخيول كـالفحول، عليها الكهول، وعدد من كل أمرد على أجرد، يتسابقون إلى اللقاء في الفضاء تسـابق الحـين والقضاء، ومع هذا كله إن أهل الأندلس مستبشرون بنصرهم على أيدينا، وإزاحـة غمتـهم بسببنا، وعساكرنا تتزيد، وجوازنا يتأكد، وكان آخر من جاز منا ومعنا قطعة من صنهاجة بني عمى، فعسر البحر حينئذ للجواز، واضطربت معه الأمواج، فاستصرخنا الباري، تعالى جـده، وعظم اسمه، إن كان في جوازنا خيرة للمسلمين أن يسهل علينا، فما استكملت من كلامـي

حتى سهل الله المركب، وقرب المطلب، فخرجنا من الحين في مرسى الجزيرة الخضراء المذكورة، والتأم شعبتنا من جاز من عسكرنا، فعملنا على السير، وكان قد تقدم إلينا بالعدوة مـن قبـل الأذفونش أمير النصارى رسالة يخاطبنا فيها بالجواز إلينا إذا عجزنا عنه، وفرقنا منـه، نعطيـه المراكب ونسلم إلى الشواني والقوالب، وليرد علينا ويقاتلنا في مأمننا، فلم نلتفـت إليـه، ولا عرضنا إليه، ووصلنا أيدينا بالريس الأجل، المعتمد على الله، المؤيد بنصر الله، واستوثقنا منه غاية الاستيثاق، وبنينا معه على اللحاق م، والورود عليهم، ونحن في ذلك كله لما نقل إلينـا وورد علينا من رؤساء الأندلس، مستبطئين سريرة المخبتين... وقلوبنا شتى، حـتى لحقنـا بأشـبيلية حضرته، عمرت ببقائه، وقد تجمع له من جنوده أعداد، ومن حشمه وعبيده وخيلـه أجنـاد، فصرنا إلى مدينة بطليوس، وأقمنا ا أياماً منتظرين لوفد الرؤساء من جميع أقطـار الأنـدلس، فأخبرنا وصح عندنا أن كل واحد منهم مشتغل مع كثيرة من النصارى، قد تغلبـوهم علـى حصو م، وأذلوهم في بلادهم، وأضعفوهم وشجعوهم على مـرادهم، فحمـدنا الله تعـالى، ودعونا بتيسير المراد، واستنقاذ العباد، فجمعنا عسكرنا وصرنا إلى قفل قوريـة، فسـمع بنـا وقصدنا قصدنا، وورد ورودنا، واحتل بفنائها منتظراً لنا فبعثنا إليه نحضه على الإسلام، ودخوله في ملة محمد عليه السلام، أو ضرب الجزية عليه وإسلام ما كان من المال والبيوت لديه، كمـا أمرنا الله تعالى، وبين لنا في كتابه من إعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون، فأبى وتمرد، وكفـر ونخر، وعمل على الإقبال علينا، وحث في الورود إلينا، فلحقنا وبيننا وبينه فراسخ، فلما كـان بعد ذلك، برزنا عليه أياماً فلم يجبنا، فبقينا وبقوا، ونحن نخرج الطلايع إليه، ونتـابع الوثـوب عليه، وبنينا على لقائه يوم الخميس لإحدى عشر ليلة خلت لرجـب سـنة تسـع وسـبعين وأربعمائة، فلما كان يوم الجمعة ثانية ورد علينا بكتائب قد ملأت الآفاق، وتقلبـت تقلـب الحتوف للأحداق، قد استلموا الدروع للكفاح، وربطوا في سوقهم الألواح، وبطو م ملأى من الخمور، يقدرون أن الدائرة علينا تدور، ونحن في أخبيتنا صبيحة اليوم المذكور، وكل منا سـاه وجميعنا لاه، فقصد أشدهم شوكة، وأصلبهم عوداً، وأنجدهم عديداً، محلة المعتمـد علـى الله، المؤيد بنصر الله، وفقه الله، عماد رؤساء الأندلس وقطبهم، لا يقدرون عسكراً إلا عسكره، ولا رجال إلا رجاله، ولا عديداً إلا عديده،.... فهبطوا إليه لفيفاً واحداً، كهبوط السيل بسـوابق الخيل، فلما كان معه من جنده ومن جميع الطبقات، الذين كانوا يدخرون من قبلـه الأمـوال والضياع، استكت آذا م، واضطربت أضلاعهم، ودهشت أيديهم، وزلزلت أقدامهم، وطارت

قلوبهم، وصاروا كركب الحمير يطلبون معقلاً يعصمهم، ولا عاصم إلا الله، ولا هارب منه إلا إليه، فلحقوا من بطليوس بالكرامات، لما عاينوا من الأمور المعضلات، وأسلموه، أيده الله، وحده في طلب الأخبية، مع عدد كثير من الرجالة والرماة، قد استسلموا للقضاء، فوثبوا عليه، وثوب الأسد على الفرائس، يعظمون الكنائس، فحبسهم حيناً وحده مع من إليه ممن ذكرناه، وبسطوا منهم الأرض، ولم يبق منهم إلا البعض، ولجأ في الأخبية بعد أن عاين المنية، وتخلصه الله بنيه في المسلمين، وبلغه أمنيته بعد أن وقف وقفة بطل مثله، لا أحد يرد عليه، ولا فارس من فرسانه وعبيده يرجع عليه، ولا يروعه أحد منهم فيهزم، ولا يهابهم فيسأم، ثم قصدت كتيبته سودا كالجبل العظيم، أو الليل البهيم، عسكر داود وأخبيته، فجالوا فيها جولانا، وقتلوا من الخلق ألوانا، واستشهد الكل بحمد الله، وصاروا إلى رضوان الله، ونحن في ذلك كله غافلون، حتى ورد علينا وارد، وقصد إلينا قاصد، فخرجنا من وراء الشعب، كقطع اللهب، بجميع من معنا، على الخيل المسومة العراب، يتسابقن الطعن والضراب، فلما رأونا ووقعت أعينهم علينا، ظنوا أن الدائرة فينا ولدينا، وأنا طعم أسيافهم، ولقاء رماحهم، فكبرنا وكبر الكل معنا، مبتهلين لله وحده لا شريك له، و ضنا للمنون الذي لابد منه، ولا محيص لأحد عنه، وقلنا هذا أخر يومنا من الدنيا، فلنمت شهداء، فحملوا علينا كالسهام، فثبت الله أقدامنا، وقوى أفئدتنا، والملائكة معنا، والله تعالى ولي النصر لنا، فولوا هاربين، وفروا ذاهبين، وتساقط أكثرهم بقدر الله تعالى دون طعنة تلحقه، ولا ضربة تثخنه، وأضعف الرعب أيديهم، فقطعناهم بالسمهرية دون الوخز بالإبر، وضاقت م الأرض بما رحبت، حتى أن هار م لا يرى شيئاً إلا ظنه رجلاً، وفتكت فيهم السيوف على رغم الأنوف، فوالله لقد كانت تقع على الدروع فتفريها، وعلى البيضاء فتبريها، ......، فما كنت ترى منهم فارساً إلا وفرسه واقف على رأسه لا يستطيع الفرار، الكل يجر عنانه كأنه معقل بعقاله، ونحن راكبون على الجواد الميمون، العربي المصون، السابق اللاحق المعد للحقائق، وما منا إلا وله جرناز فيه سيفان، وبيدنا الثالث، عسى أن يحدث حادث، فصاروا في الأرض مجندلين، موتى معفرين، وقد تراجع الناس بعد الفرار، وأمنوا من العثار، وتضافروا مع عسكرنا، وغيرهم يقطعون رؤوسهم، وينقلون بإزاء المحلات، حتى علت كالجبال الراسيات، عدد لا يقدر، ومدد لا يحذر، والتجريد فيهم، والأيدي متعاودة لبطونهم، واستأصلنا أكابرهم، وحللنا دون أماطيهم وأمانيهم، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون. وانقطع من عسكرهم نحو ألفي رجل أو أقل، والأذفونش فيهم على ما أخبرنا، قد أثخنوا

جراحاً بإزاء محلا م، يرتادون الظلام للهروب في المقام، ووالله لقد كان الفرسـان والرجالـة يدخلون محلتهم، ويعثرون في أخبيتهم، وينتهبون أزود م، وهم ينظرون شذراً نظر التيوس إلى شفار الجازرين، إلى أن جن الليل وأرخى سدوله، ولوا هاربين، وأسلموا رحايلهم صـاغرين، فكم من دلاص على البقاع ساقطة، وخيول على البقاع رابضة، ولقد ارتبط كل فـارس منـا الخمسة أفراس، وأما البغال والحمير فأكثر من ذلك، وأما الثياب والمتاع فناهيـك، والأسـرة بأوطية الحرير، والثياب والأوبار عدد ليلهم، ولا يكلون في الانتقال، ولا يسأمون من تشـريط الأموال، ولحقوا قورية ومنها حيث ألفت رحلها أم قشعم، فصـححنا ضـمائرنا، وأخلصـنا للمعتمد على الله نياتنا وسرايرنا، ورجعنا بحمد الله غانمين منصورين، لم يستشهد منا إلا الفرقة التي قدر الله عليها بذلك، وقدرنا أن الكل منهم هلك لقلة معرفتهم وجهالتهم بقتال النصارى، وتراميهم للشهادة، قدس الله أرواحهم، وكرم مثواهم وضريحهم، وجعل الجنة ميعـاداً بيننـا وبينهم، وفقدنا من أكابرنا نحو عشرين رجلاً ممن شهدت نجد م في المغرب، وانقلبـت خـير منقلب، ولحقنا أشبيلية حضرته عمرت ببقائه، وأقمنا عنده أياماً ورفعنا عنه مودعين لا تـودع قاطع، لا يمنعنا منه متى أحب مانع، ولحقنا بالجزيرة الخضراء، ونحن نريد أشياء أسال الله تمامها وإنجازها، وأن يسهل المراد ويوفقنا للسداد، ومتى تنفس منهم متنفس، وأرجـح إلى أحـدهم نفس، يذكرون ما لقوا ويتذاكرون ما بقوا، وسنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم أن كيدي متين، حتى لا يبقى على أديم الأرض منهم حي، ولا يحس منهم إنسي، والحمد لله رب العالمين على ما قضى وخول وأعطى، وهذا كله من منه علينا لا منا عليه، وصلى الله على محمد خاتم النبيين وقائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم، وآله الطيبين وسلم تسليما، والسلام علـيكم ورحمة الله وبركاته)[١].

- يصف المرسل في البداية حال هذا النصر بأنه أمر من الله عز وجل وأن الله سلطه على أعداء الدين ليستأصل شأفتهم.
- يبين المرسل أن ما فعله هو أمر الله ولذلك لم يأخذ جهداً في القضاء على الباطل وينشر كلمة الله في هذه البلاد.

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٥٠.

- يسهب المرسل في وصف تفاصيل المعركة وغرور العدو وتغطرسه مقابلة باليقين بـالله عـز وجل عند المسلمين والثقة بوعد الله لهم ومؤازرة الملائكة لهم.
- الرسالة ا استشهادات قرآنية تدل على عمق إيمان مرسلها.
- الرسالة قدمت وصفاً دقيقاً للمعركة وكيفية إمكانية تحويل الهزيمة إلى نصر شريطة الثقة بالله وإخلاص النية له رغبة في إعلاء كلمته، وتساوي الموت والحياة عند من يقاتل في سبيل الله.

وله أيضاً رسالة إلى بلاد العدوة عقب موقعة الزلاقة جاء فيها (..... وانقضت جيوش المسلمين في جيوشهم انقضاض العقاب على عقيرته ووثبت عليهم وثوب الأسد على فريسـته وقصدنا برايتنا السعيدة المنصورة في سائر المشهدة المنتشرة... فتلقاهم المرابطون بنيات خالصة وهمم عالية، فعصفت رياح الحرب وركبت دائم السيوف والرماح بالطعن والضرب... وأمـير المسلمين بحمد الله قد ثبت وسط موكبه تحت ظلال بنوده المنتشرة، منصور الجهـاد مرفـوع الأعداد، ويشكر الله تعالى على ما منحه من نيل السؤال والمراد... وأذفنش ينظر إليـه نظـر المغشي عليه ويعض غيظًا وأسفًا على أنامل كفيه... والحمد لله على ذلك كثيراً، كانت هـذه النعمة العظيمة والمنة الجسيمة يوم الجمعة الثاني عشر لرجب سنة سـبع وسـبعين وأربعمائـة والعشرين لشهر أكتوبر العجمي) [1].

الرسالة السابقة أرسلها يوسف بن تاشفين عقب معركة الزلاقة إحدى المعارك الفاصلة في التاريخ الإسلامي، وحدث في هذه المعركة أن لجأ الأذفنش إلى خداع المسلمين، حيث كان الموعد المضروب للقاء هو يوم الاثنين وحاول مفاجأة المسلمين بالهجوم عليهم يوم الجمعة.

- يصف المرسل بكل فخر انقضاض المسلمين على عدوهم رغم المفاجأة بانقضاض العقـاب على عقيرته والأسد على فريسته.
- يقدم مبرراً لانتصار المسلمين بأ م كانوا أصحاب الهمم العالية والنيات الخالصة، فهـم مـا خرجوا إلا ابتغاء مرضات الله قاصدين إعلاء كلمته ونصرة دينه.
- يعقد موازنة بين حال أمير المسلمين وأمير النصارى بعد المعركة ويبين أن أمير النصارى كان ينظر إلى جيوش المسلمين نظر المغشي عليه من فرط رعبه وفزعه.

---

(١) المصدر السابق، ص٤٥١.

- يختم الرسالة بحمد الله والثناء عليه مبينا أنه لولا توفيق الله ما كان هذا الانتصار العظيم.

- يؤرخ للمعركة في ـاية الرسالة حتى يحفظ التاريخ موعدها؛ لأ ـا فخر لكل مسلم.

ومن رسائل التهنئة والنصر رسالة كتبها الوزير الكاتب ابن شرف إلى أمير المسلمين في فتح أقليش وجاء فيها :

(....... وكان الطاغية- زاده الله ذلاً- قد حشد أقطاره وحشر أنصـاره وأبعـد في الاستصراخ مضماره..... فأقدم وصمم وبئس ما تيمم فاستسلمت جماعتهم على ابن الطاغية أذفونش وصاحب شوكتهم ألبرهانس وقواد بلاط طليطلة وصاحب قلعة النسور وقلعة عبـد السلام كل قاص ودان وعاجل وأخزى الله جميعهم وطل نجيعهم ولا أقام صريعهم.

وهذا دعاء لو سكت كفيته لأني سألت الله ربي وقد فعل

وطرقوا من طرف مجتمعهم يريدون الغرة ويظهرون صلفًا تحت العزة، وتقدموا فتندموا، ودنوا فهووا..... حتى خضعت منهم الرقاب وقبلت رؤوسهم التراب، واتصل الهلاك بالشرك، وعادت الضالة إلى الملك، وقُلم ظُفر الكفر، وطالت أيمان الإيمان، وفر الصليب سليبا، وعجـم عود الإسلام فكان طيبا......... فخاطبت أمير المسلمين- أدام الله سروره ووصل حبـوره- معلما بالأمر مهنيا بالنصر، فلنحمد الله عز وجل على ما وهب، ونشكره على ما سن وسبب، والله يتكفلُ بالمزيد، ويشفع القديم بالجديد، ويمن بالظفر والتأييد، فهو ولي الامتنـان، والملـي بالفضل والإحسان، لا رب غيره ولا معبود سواه) (١).

الرسالة من رسائل التهنئة التي يبدو فيها الفخر والاعتزاز بالدين الإسلامي وقد ضمنها الكاتب وصفاً دقيقاً لحال العدو أثناء المعركة وما كان عليه من تجبر وتكالب من جمع أنصـاره والتكتل للنيل من الإسلام، ثم يصف غروره وما خيله له شيطانه من تمكنه من هزيمة المسلمين.

لجأ الكاتب إلى إبراز سرعة الهزيمة لبيان شدة غرور العدو وما قابله من ثبات المسلمين وثقتهم بالله وذلك في قوله (وتقدموا فتندموا ودنوا فهووا).

---

(١) مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي، ص٣٨-٣٩.

تبدو على الكاتب النـزعة الدينية البحتة وذلك في قوله: (واتصل الهلاك بالشرك) وقوله: (قلم ظفر الكفر) وقوله : (طالت أيمان الإيمان) وقوله : (فر الصليب سليباً).

يبين الكاتب في نهاية الرسالة الغرض منها وهو التهنئة بهذا الانتصار العظيم لأن انتصار المسلمين داعية فخر وشرف لكل مسلم.

- **الهزائم والنكبات:**

كان سقوط مدن الأندلس مدينة تلو الأخرى بمثابة الداء العضال الذي يحصد أعضـاء الجسد عضواً تلو الأخر، وكانت كل مدينة تسقط تثير الهلع والرعب في قلوب أهـالي بقيـة المدن، فكانت كل مدينة تنتظر دورها في السقوط ويشعر ساكنوها شعور المريض بدنو الأجل، وكان سقوط كل مدينة يثير اليأس والفزع والقنوط، وكانت محاولات الإفاقة بطيئـة مقارنـة بسرعة سقوط المدن.

ومن النكبات ما ذكره أبو محمد عبد الله بن الفقيه على ألسنة أهل بربشتر فيقول:

(وأي أمان من زمان قلما يخْضر منه جانب إلا جف جانب، ولا تبرق منه بارقـة إلا أتبعتها صاعقة... ونقص عليكم من نبأنا وما انتهت إليه حالنا ملئنا، والله يوجع القلوب سماعه كما قصم الظهور وأسخن العيون اطلاعه، فأحاط بنا عدونا كإحاطة القلادة بالعنق، يسوموننا سوء العذاب، بضروب من الحرب والحراب، آناء ليلها و ارها، تصب علينا صواعقها وترمي إلينا بوائقها، فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما رأت منا العيون، مـن انتـهاك تلـك الـنعم المدخرات، وهتك ستر الحرم المحجبات، والبنات المخدرات، وما تكشف من تلـك العـورات المسترات....) [1].

- يبدأ الكاتب بشكوى الزمان وضياع الأمان، وكيف يؤمن من لا تشرق فيه بادرة أمـل إلا غيبتها سحب من اليأس وما يسد فيه رتق من جانب إلا وهتك من جانب آخر.
- يصف الكاتب سيطرة العدو على أهل المدينة وتسلطه على أهلها وإذاقتهم الضعف والهـوان وصب الغذاب عليهم صبا.
- يقتبس الكاتب بعض المفردات القرآنية مثل: (يسوموننا سوء العذاب).
- يسترجع الكاتب بقوله: (فإنا لله وإنا إليه راجعون) دليل على وفاة الأمل وسـيطرة اليـأس وإحساس الكاتب بأن الخلاص من هذا الهوان أمر بعيد المنال.

(١) المصدر نفسه: ق٣، م١، ص١٧٤-١٧٥.

- يصف الكاتب اعتداءات العدو وتنوع صنوف العذاب والهوان على المسلمين من اعتداء على الأموال والأعراض.

- كما أن هذا العذاب يذيقه العدو لهم ليلاً و اراً وفي كل وقت وحين.

- وصف الكاتب لسيطرة العدو عليهم بالقلادة التي تحيط بالمعصم تعبير يوحي بحتمية الهـلاك وسيطرة العدو عليهم من كل جانب.

- يستشف الكاتب وقع هذه الأخبار على السامع بإصابة قلبه بالألم كمـا أبكـت عيـون وقصمت ظهور من عاينها.

ومن فصل آخر من الرسالة في هذا الغرض رسالة ابن عبد البر، يقول:

(فلو رأيتم- معشر المسلمين- أخوانكم في الدين، وقد غلبوا على الأموال والأهلـين- واستحكمت فيهم السيوف، واستولت عليهم الحتوف، وأثخنتهم الجراح، وعبثت ـم زرق الرماح، وقد كثر الضجيج والعويل والنياح، ودماؤهم على أقدامهم تسيل سيل المطـر بكـل سبيل... فما ظنكم- معشر المسلمين- وقد سيقت النساء والولدان، ما بين عاريـة وعريـان، قوداً بالنواصي إلى كل مكان، طوراً على البطون، ومشيخة الرجـال، مقـرنين في الحبـال، مصفدين في السلاسل والأغلال)[1].

- يوجه الكاتب رسالته إلى المسلمين عامة ليشعرهم أن هذه النكبات هي نكبة عامة وليسـت خاصة وما ينتج عن ذلك من شعور بفداحتها وعظم مصيبتها.

- قوله: (إخوانكم في الدين) تأكيد للخطاب السابق الموجه للمسلمين لبيـان أن المصـيبة في الدين وهي أعظم مصيبة قد تصيب المرء حينما يكون المصاب في دينه.

- قوله: (استحكمت فيهم السيوف... وعبثت م زرق الرماح) يدل على أ ـم أصـبحوا مضرب للسيوف وهدفًا سهلاً ولقمة سائغة للرماح، واستخدام السيوف والرماح وصـبغ صبغة العقل عليها دليل على هوان المسلمين وانكسار شوكتهم وسهولة الاعتداء عليهم، إذ لا ناصر لهم ولا غاضب من أجلهم ولا صاحب شأن يخشى بأسه عند الاعتداء عليهم.

---

(١) ابن بسام: الذخيرة، ق٣، م١ ، ص١٧٥-١٧٦.

- قوله: (دماؤهم على أقدامهم تسيل سيل المطر بكل سبيل) يوحي بغزارة الـدماء. وكثر ـا دليل على استشراء القتل فيهم والاستهانة بدمائهم، وقوله: (تسيل سيل المطـر) دليـل علـى عشوائيتها وسيلها بلا انتظام.

- وقوله: (بكل سبيل) دليل على عدم توفر الأمان في أي مكان، فكل السبل مخضبة بـدمائهم الزكية.

- يلجأ الكاتب إلى الحديث عن النساء والأطفال والشيوخ والذين لا ذنب لهم ولهم حقـوقهم حتى أثناء الحروب، وما يثيره ضعفهم من حمية تبرز حجم النكبة وفظاعة الاعتداء.

- استخدامه لفظة (عارية وعريان) يوحي بالاعتداء على الأعراض وهي من أعظم النكبـات التي تبتلى ا أمة من استباحة أعراضها لينم عن حجم الاستهانة ا.

- ثم يختم بالحديث عن الشيوخ وما يلاقونه من مهانة وإذلال وتكبيل بالقيود والأغلال، فأين الشباب حينما يهان الشيوخ؟ وأين الأبناء حينما ينكل بالآباء؟

وفي هذا الغرض كتب ابن طاهر رسالة إلى المعتصم بن صمادح يصف فيهـا العـدو العابث بالأندلس ويشير إلى تكتل الصليبيين ومحاصر م لمعاقل الإسلام، حيث يقول: (وذلك أن فرديناند نزل على قلعة أيوب محاصرا لمن فيها ومغيرا على نواحيها بجموع يضيق عنها الفضاء، وتتساقط لملاحظتها الأعضاء. وغرسية -دمره الله- بسرقسطة كذلك، وزدمير- أهلكـه الله- بوشقة وما ولاها ينكي بما ينكي... فليندب الإسلام نادب، وليبك له شاهد وغائب، فقد طفئ مصباحه ووطئ ساحه) (١).

- تتضح حالة الهلع عند الكاتب في سرده لسقوط المدن المذكورة في سرعة وترتيـب يوضـح إحساسه بتتابع البلايا ونزول الزرايا.

- وصف الكاتب لجيوش الأعداء بقوله (جموع يضيق عنها الفضـاء، وتتسـاقط لملاحظتـها الأعضاء) وما فيه من مبالغة ملحوظة تبين الحالة النفسية للكاتب من ويل حجم الأعداء وجيوشهم لذلك لما أحدثوه من فزع لأهل المدن التي استولوا عليها.

---

(١) ابن خاقان : قلائد العقيان، ص٥٨.

- قوله : (تتساقط لملاحظتها الأعضاء) يبين وقع استيلاء الأعداء على المدن والهلع الذي أصاب أهلها.

- استخدام عبارة: (تساقط الأعضاء) يدل على تمكن الإحساس بالنكبة من الكاتب.

- الدعاء على المعتدين مثل: (دمره الله، أهلكه الله) يدل على حالة الغيظ والكمد التي تسيطر على قلب الكاتب ومن ثم على قلوب كل المسلمين المنكوبين.

- قوله : (فليندب الإسلام نادب...) يبين أن الطابع الديني واضح جلي في هذه الرسالة، حيث يركز على أن المصاب هو مصاب الإسلام.

- استمرار استخدام الألفاظ الموحية وما لها من تأثير على المتلقي، مما يدل على براعة الكاتب في تطويع الألفاظ لتوصيل الإحساس المراد توصيله للسامع.

وفي فصل آخر منها يقول:(واتصل بنا أنه- فرديناند- أباد الديار في جميع تلك الأمصار والمسلمون بينهم سوام ترتع- وأموالهم نهب يوزع، والقتل يأخذ منهم فوق ما يدع) [(١)].

وهنا يلجأ الكاتب إلى تصوير مهانة المسلمين ونكبتهم وما آل إليه حالهم بعد أن كانوا سادة البلاد صاروا أقل من عبيدها فيشبههم بالسوام والبهائم الراتعة، وذلك من سوء معاملة الأعداء لهم، والقتل الجماعي لهم، وعدم التفريق بين شاب وطفل وامرأة، فالكل في المهانة سواء، أموالهم تنهب، والقتل يفتك بهم من كل جانب.

وللمعتمد بن عباد نصيب من وصف هذه النكبات، فيقول في رسالة أرسلها ليوسف بن تاشفين :

(إنا نحن العرب في هذه الأندلس، قد تلفت قبائلنا، وتفرق جمعنا، وتغيرت أنسابنا، بقطع المادة عنا من معيننا، فصرنا شعوبا لا قبائل، أشتاتا لا قرابة ولا عشائر، فقل ناصرنا وكثُر شامتنا، وتوالى علينا هذا العدو المجرم اللعين أذفونش وأسر المسلمين، وأخذ البلاد والقلاع والحصون) [(٢)].

---

(١) ابن خاقان: قلائد العقيان، ص٥٨.

(٢) محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص٢٩.

يلجأ الكاتب إلى تصوير النكبة التي حلت بالمسلمين في الأندلس وانتقال حـالهم مـن الشرف إلى الوضاعة، ومن العز إلى الذل ومن الاجتماع إلى التفرق، ومن الألفة إلى الوحشـة، ومن كثرة الناصرين إلى كثرة الشامتين، ومن المكانة المرموقة إلى الضعف والاستكانة ومن الهيبة والإجلال إلى الاستهانة والاستقلال.

ثم يبين الكاتب أن كل هذا أدى إلى هوان أمرهم على عـدوهم وسـقوط بلادهـم وقلاعهم وحصو م في أيدي كارهي ملتهم وراغبي استئصال شأفتهم وكسر شوكتهم.

استمرار النكبات وتوالي الهزائم واستفحال المصائب يصيب النفوس بالكمد والقلـوب بسهام اليأس فينتقل الإنسان من التفاؤل إلى التشاؤم ولا يستطيع أن يرى الدنيا إلا بمنظار أسود فتضيق الدنيا في عينيه ويصبح الموت أملاً بعيدا يصعب تحقيقُه، وهذا ما يتضح من رسـالة أبي المطرف عبد الرحمن بن الدباغ التي يقول فيها :

(فسبحان الله، جعل الدنيا دار كرب ومحنة، لكل ذي لب وفطنة، ومقام تنعم وترف، لكل ذي خسة ونطف، وسبحان من ابتلى فيها ذوي الفضل والنهى بكل قعط بنفسه...) (1).

يبين الكاتب أن الدنيا دائما دار كروب وخطوب لذوي العقول والقلوب، ودار نعـيم ورخاء للسفلة والأغبياء ودائماً ما يبتلى الأخيار بالأشرار، ويسلط فيها الأنذال على الرجـال، ويكون الفضلاء فيها في أسوأ حال.

وشهد ابن طاهر محنة المسلمين ببلنسية على يد الطاغية الأنبيطـور سـنة ٤٨٨هـ ـ ووصف هول المصيبة التي داهمت تلك المدينة، حيث كان من سكا ا، يقول في رسالة كتبـها إلى بعض إخوانه: (كتبت منتصف صفر، وقد حصلنا في قبضة الأسر، بخطوب لم تجر في سالف الدهر، فلو رأيت قصر بلنسية- نظر الله وعاد بنوره عليه- وما صنع الزمان به وبأهليه، لكنت تندبه وتبكيه، فلقد عبث البلى برسومه، وعفى على أقماره ونجومه، فلا تسأل عما في نفسي، وعن نكدي ويأسي) (2).

---

(1) ابن بسام- الذخيرة، ق٣ م١ ص٢٦٥.

(2) ابن بسام الذخيرة: ق٣، م١، ص٩١.

يتضح من الرسالة ضيق صدر الكاتب وإحساسه بالمذلة والهوان واستعظامه للمصـيبة ، حتى إنه لا يرى مصيبة سبقتها تساويها في العظَمِ والبلاء.

يلجأ الكاتب إلى مَعْلَمٍ كان مصدر زهوٍ وفخار كل أهل بلنسية ألا وهو قصرها الذي دال الزمانُ عليه دولته وغير معالَمه وملامحه، واستبدل بساكنيه سكانا، وببهجته ورونقه أحزانا، فصار خير دليلٍ على النكبة التي ألَمت بالمدينة، وخير معبرٍ عن المحنة التي يحياها أهلها، وتبـدل بعد الضياء بكدورٍ، وحل الظلام فيه محل النور، والحزن محل السرور، ثم يطلب من سـائله ألا يسأله عن نكده ويأسه الذي يعجز القلم عن وصفه.

# الفصل الثاني

# الشكل

- بناء الرسالة
- الألوان البديعية
- التشبيه والاستعارة
- المزاوجة بين النثر والشعر

## البنـــــــاء

### أولاً: المقدمات:

تنوعت مقدمات الرسائل وفقاً للغرض منها وللحالة المزاجية للكاتب فكانـت بعـض الرسائل تبدأ بدايات تقليدية بحمد الله والثناء على رسوله، وبعضها يبدأ بالثناء على المرسل لـه الرسالة، كما تنوعت المقدمات ما بين الإطناب والإيجاز.

ومن الرسائل التي كانت مقدما ا تقليدية:

- رسالة أرسل ا الأمير أبو يعقوب يوسف بن تاشفين إلى الناصر بدين الله ابن تميم بن المعـز بن باديس بالمهدية يصف فيها بلاد المغرب وجوازه للأندلس للجهاد ا وهزيمته للأذفونش ابن النصارى في رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة جاء فيها: (الحمد لله الذي من علينـا بالإسلام وفضلنا بمحمد عليه السلام، أحمده حمداً يوجب المزيد من آلائه والسبوغ من سر الله ونعمائه) (١).

حيث بدأت الرسالة بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله صـلى الله عليـه وسلم، وذلك لأن المرسل كان قد انتصر في معركة فاصلة على النصارى فأراد التهنئـة ـذا الانتصار العظيم مرجعاً ذلك النصر إلى توفيق الله وعونه، كما أنه كان يـرى حربـه ضـد النصارى جهاداً لإعلاء كلمة الله ونصرة دينه.

ومنها رسالة المعتمد بن عباد إلى يوسف بن تاشفين التي جاء فيها: (بسم الله الـرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه تسليماً....) (٢).

بدأت الرسالة بالبسملة والصلاة على رسول الله، وذلك لعلم المرسل بالنـزعة الدينيـة المتمكنة من نفس المرسل إليه.

كما جاءت بعض المقدمات مشتملة على الفخر والثناء على النفس، ومن ذلك:

---

(١) عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص٤٤٦.

(٢) محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص٣٧.

- رسالة كتبت على لسان الأذفونش إلى المعتمد بن عباد يهدده فيها ويطلب منه تسليم بعض أعماله إلى رسله وعماله وإلا فإن مصيره سيكون مثل مصير أهل طليطلة وأعمالها وما كان يقصد من ذلك إلا تحطيم الروح المعنوية لدى المسلمين وبث الخوف في قلو م.

يقول في رسالته تلك:

(من الأنبيطور ذي الملتين الملك المفضل الأذفونش بن شانجة....) [١].

يتضح من المقدمة فخر المرسل بنفسه ونعته لها بذي الملتين وذلك اتفاقاً مع الغرض من الرسالة واتفاقاً مع الحالة المزاجية للمرسل.

وعلى المنوال نفسه جاءت مقدمة رسالة المعتمد رداً على رسالة الأذفونش، حيث أرسل المعتمد رده قالاً : (من الملك المنصور بفضل الله المعتمد على الله محمد بن المعتضـد بـالله، إلى الطاغية الباغية أذفونش الذي لقب نفسه ملك الملوك، وتسمى بذي الملتين......) [٢].

يتضح من المقدمة اعتزاز المرسل بذاته ووصفه لذاته بالملك المنصور وذلك لإظهار أنـه غير آبه بتهديد المرسل في رسالته السابقة.

كما جاءت بعض المقدمات مشتملة على الثناء على المرسل إليه، وذلك في مقام الثناء أو العتاب أو الاعتذار للمرسل إليه، ومنها رسالة المعتمد بن عباد إلى يوسف بن تاشفين التي جـاء فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصـحبه تسـليماً، إلى حضرة الإمام أمير المؤمنين وناصر الدين، محيي دعوة الخلفية الإمام، أمير المؤمنين يوسـف بـن تاشفين، القائم بعظيم إكبارها، الشاكر لإجلالها، المعظم لها عظم الله من كريم مقدارها، اللائذ بحرامها، المنقطع إلى سمو مجدها المستجير بالله وبطولها، محمد بن عباد، يخص الحضرة المعظمـة السامية..... وأنت أيدك الله سيد حمير ومليكها الأكبر وأميرها وزعيمها........) [٣].

ومن الرسائل التي تضمنت مقدما ا عبارات ثناء وإطراء رسالة ابن اسحق عن المقتـدر بالله إلى ابن عباد يعرفه بأمر أخيه صاحب لاردة والتي منها : (سيدي وأعلى عددي وأقـوى

(١)المصدر السابق، ص٢٢-٢٣.

(٢) المصدر نفسه : الحلل الموشية، ص٢٣-٢٤.

(٣) المصدر نفسه : الحلل الموشية، ص٣٧.

عمدي..... ونعمة الله المستطيلة بيدي المناهضة لعضدي ومن أطال الله ومن أطال الله بقاه في عز رفيع المراتب وحرز منيع الجوانب.... وكتابي هذا من لاردة وقد استقرت بحمد على الدعة أسباب قريرها واتصل بجميل عونه تدبيرها، وتقضي، أبقاك الله، وكيد ما بيننا مقاسمتك الحال وتعرفك المبدي منها والمآل، فإنك الشريك في الحلو والمر، والمقيم في النفع والضر، ......) [١].

وقد تبدأ الرسالة بأسلوب من الأساليب البلاغية مثل الاستغاثة مثل رسالة ابن أيمن إلى يوسف بن تاشفين التي جاء فيها: (فيا لله، ويا للمسلمين.....) [٢].

ورسالة قاضي سرقسطة إلى أبي الطـاهر تمـيم الـتي يقـول فيهـا : (يـا لله ويـا للإسلام....)[٣].

**ثانياً : من حيث الموضوع :**

تنوعت موضوعات الرسائل، ولكننا في هذا الموضع من البحث سوف نعرض لطـرق عرض الموضوع المختلفة التي انتهجها الكتاب، وقد جاءت كما يلي:

**١ - الميل إلى الإيجاز والعناية بقوة العبارة أكثر من العناية بتجميلها :**

من الرسائل التي مالت إلى الإيجاز والحديث عن الموضوع مباشرة ما كتبه الحكم الربضي إلى قائده وعامله على سرقسطة يثني عليه وقد أبلى بلاء حسناً في القضاء على حركة تمرد قامت في سرقطسة وتمكن من جمع كلمة العرب والبربر في ولايته، وقد جاء فيها (أصبت رأيـك فيما جمعت من كلمة الفريقين، وأصلحت من أمرهم، وقد عرفنا حسب رأيك وصـواب سياستك فيما حملناك من أمانتهم، وعصبنا بك من أمرهم ووقع لك منـا موقـع المعرفـة والسلام) [٤].

(١) عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص٤٥٥.

(٢) ابن بسام: الذخيرة، ق٢ م٢ ، ص٦٥٤.

(٣) حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي، ص٤٥.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١١٩-١٢٠.

**٢- القدرة على أداء المعنى الواحد بعدة جمل تبدو في الظاهر تكراراً**، ولكنها في الواقع تجسيد للمعنى وتفنن في إبرازه. ومن هذه الرسائل رسالة أبي عبد الله محمد بن أيمن مستنفراً يوسف بن تاشفين ويدعوه لنصرة الإسلام والمسلمين وذلك بقوله: (فيا لله، ويا للمسلمين، أيسطو هكذا بالحق الإفك، ويغلب التوحيد الشرك، ويظهر على الإيمان الكفر، ولا يكتنف هذه الملة النصر، ألا ناصر لهذا الدين المهتضم، ولا حامي لما استبيح من حمى الحرم، وإنا لله على ما لحق عرشه من ثل، وعزه من ذل، فإنها الرزية التي ليس فيها عزاء، والبلية التي ليس مثلها بلاء) (١).

ومنها رسالة أبي عبد الله محمد بن أحمد البزلياني الذي كتب عن أحد الأمراء الصالحين إلى مظفر ومبارك العامريين وجاء فيها :

(كتبت يا سيدي ومشارب الآمال قد تكدرت ووجوه المحاسن قد تغيرت وأيدي التوازن قد قصرت وسبيل التناحر قد توعرت إلا أن يتلافى الله الخلل بتسديد نظركما وينعش الأمل بحميد أثركما فينظم الشمل ويصل الحبل، ويسد الثلم، ويشد الحزم، ويرقع المنخرق، ويجمع المفترق ويضع الإصر ويرفع الوزر، ويعيد الكلمة متفقة، والأمة متسقة، والأيدي متأيدة...) (٢).

**٣- الميل إلى استخدام الجمل القصار في التعبير عن المعاني ونقل الصورة للمرسل إليه،** مثل رسالة أبي محمد عبد الله بن الفقيه التي يقول فيها :

(وما ظنكم معشر المسلمين، وقد رأيتم الجوامع والصوامع بعد تلاوة القرآن، وحلاوة الأذان، مطبقة بالشرك والبهتان، مشحونة بالنواقيس والصلبان، عوضاً من شيعة الرحمن، والأئمة والمتدينون والقومة والمؤذنون يجرهم الأعلاج كما تجر الذبائح إلى الذابح.....) (٣).

**٤- المنهجية في الانتقال بين فقرات الرسالة :** مثل رسالة المعتمد بن عباد إلى الأذفونش في رده على رسالة أرسلها له الأخير يهدده ويتوعده، وجاء رد المعتمد بقوله :

---

(١) ابن بسام: الذخيرة، ق٢ م٢ ، ص٦٥٤.

(٢) المصدر نفسه: ق١، م٢، ص ٦٣٧.

(٣) المصدر نفسه: ق٣ ، م١، ص ١٧٦.

(إلى الطاغية الباغية أذفونش بن شائجة، الذي لقب نفسه بذي الملتين- قطع الله دعواه- سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإنه أول ما نبدأ به دعواه أنه ذو الملتين، والمسلمون أحـق بهذا الاسم منه، لأن الذي تملكوه من أمصار البلاد، وعظيم الاستعداد لا تملكه قـدرتكم ولا تعرفه ملتكم...) [1].

حيث جاء الرد معتمدا على تفنيد دعاوى المرسل وفقًا للترتيب نفسه الـذي جـاء في رسالته من حيث رد أولاً على دعواه أنه ذو الملتين ثم أخذ يرد على طلبه بتسليم البلاد إلى أخر فقرات الرسالة.

**٥- المباشرة في عرض موضوع الرسالة :**

ومن هذا النوع من الرسائل رسالة ابن هود إلى علي بن يوسف بن تاشفين لما علم بنيته في غزو مملكته شرق الأندلس وجاء فيها :

(....... ولا يمكننا تسليم أيدينا إليكم يـتحكم فينـا الأذلان، ويـتحكم في محالنـا الاستنقاص بالحقور والاحتلال، ولم يتقدم منا إليكم ساءة جهرة بالقول، ولا أمرت ولا أجلت بجنابكم لا غزو ولا ضرر، بل نفـيض علـيكم اسـتمالتنا، ونسـتعطفكم في كـل حـال مقالتنا.........) [2].

عرض الكاتب لوجهة نظره بمنطقية وعقلانية مبررا لها بأسلوب واقعي.

**ثالثاً : خاتمة الرسالة :**

تنوعت أساليب الكتاب في خاتمة رسائلهم، وذلك وفقاً لموضوع الرسالة والغرض مـن إرسالها. ومن ذلك :

---

(١) محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص٢٣-٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٧١.

**١- أن تختم الرسالة بالدعاء للمخاطب وذلك في سياق الاستنجاد وطلب المعونة مثـل :** رسالة من ابن طاهر إلى بكر بن عبد العزيز يستنجد به بعد أن فر من سجن ابن عمـار جـاء فيها:

(كتابي إليك وقد طفل بنا العشي ومال بنا إليك المطي، ولها من ذكراك حاد ومن لقياك هاد، وسنوافيك المساءَ، فنغفر للزمان ما قد أساء، ونرد ساحة الأمن ونشكر عظيم ذلك المن، فهذه النفس أنت مقيلها، وفي برد ظلك يكون مقيلها، فلله مجدك وما تأتيه لازلت للوفاء تحييه وتحويه)[1].

ختم المرسل رسالته بالدعاء للمرسل له بأن تكون المكارم دائماً ملك يمينه وأن يديم الله عليه نعمة العلو وأن تكون له دائماً يد على العباد، وهذا الدعاء مناسب لمضمون الرسالة الـتي جاءت في سياق الاستنجاد.

**٢- أن تختم الرسالة بحكمة يريد أن ينقلها المرسل إلى المرسل إليه وذلك في مقام النصـح والإرشاد مثل :** رسالة ابن التاكرني نجده يؤكد على خطورة الفرقة والانقسام ولكن بأسلوب مختلف فيقول :

(فيا للمسلمين، تعالوا إلى التعاون، واتفقوا ولا تفرقوا، واتقوا عاقبة الخـذلان، وقـد ناديت إن أسمعت، ونصحت بقدر ما استطعت فإن وافقنا قبولاً ولقيت تأويلاً جميلاً، فإن وافقنا قبولاً ولقيت تأويلاً جميلاً، فإن الخير عنيد والتناول غير بعيد... فإما ألفة وانتظام واتفاق يحيـي رمق الإسلام، وإما داعية تلف وراعدة صلف، وهنالك تزل القدم، ولا ينفع الندم) [2].

ختمت الرسالة بحكمة يريد المرسل أن يعلمها للمرسل لهم وهي أ م إذا لم يسـتجيبوا لدعوته لهم بالوحدة والتضافر فإن ذلك سيعقبه ندم في وقت لن ينفع فيه الندم.

---

(١) شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات، ص٤٤١.

(٢) ابن بسام: الذخيرة، ق٣، م١، ص٢٣٨-٢٣٩.

**٣- أن** تختم **الرسالة بآية قرآنية وذلك أيضاً** في **مقام النصح** مثل : رسالة الأمير عبد الله بـن محمد إلى قائده أحمد بن محمد التي جاء فيها :

(فالتزم التوكل على الله- تبارك وتعالى- والثقة به في جميع أمورك وما أنت بسبيله من ثغرك فإنها حرز من كل ضر يتقى- وبلاغ لكل خير يرتجى، وكن من التحفظ في أيام عيـدك على أحسن الذي يجب عليك الأخذ به والتحفظ فيه، فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين)[١].

ختمت الرسالة بالآية الكريمة (فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين) دليل على نزعـة إيمانية لدى المرسل أراد تصديرها للمرسل إليه ليؤكد على دعوته له بالتوكل على الله.

**٤- أن** تختم **الرسالة بحمد الله وتحية الإسلام،** وذلك في مقام التهنئة بنصر أو نقل خبر سـار مثل رسالة الأمير أبو يعقوب يوسف بن تاشفين إلى الناصر بدين الله ابن تميم بن المعز بـن باديس بالمهدية يصف فيها بلاد المغرب وجوازه للأندلس للجهاد بها وهيزمته للأذفونش ابن النصارى في رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة جاء في خاتمتها : (..... الحمـد لله رب العالمين على ما قضى وخول وأعطى، وهذا كله من منه علينا لا منا عليه، وصلى الله علـى محمد خاتم النبيين وقائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم، وآله الطيبين وسلم تسليما، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)[٢].

جاءت خاتمة الرسالة متسقة مع النـزعة الإيمانية الغالبة عليها مع أنها في مقام التهنئـة بانتصار عظيم، فإن الشعور الغالب على المرسل هو الإيمان وإرجاع ذلك النصر لله عز وجـل، ومن ثم جاءت الخاتمة بالصلاة على رسول الله وإلقاء تحية الإسلام على المرسل له.

---

(١) أخبار مجموعة : ص١٥٢.

(٢) عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص٤٤٦.

## الألوان البديعية

إذا تحدثنا عن الألوان البديعية في الرسائل المختارة فإنه يجدر بنا أن نتحدث عن علـم البديع بوصفه علماً يتولى دراسة المعنى واللفظ من حيث الصياغة على ألفاظ خاصة تبهج العقل وتنعش النفس وتثير الحس الجمالي عند المتلقي، فهو يدرس جماليات الأداء والصياغة، أو وجوه تحسين الكلام.

والمحسنات البديعية تنقسم إلى قسمين:

١- المحسنات المعنوية : وهي التي يكون التجميل ا راجعاً إلى المعنى أصلاً، وإن تبـع ذلـك تجميل اللفظ فإنه غير مقصود[١].

٢- المحسنات اللفظية : وهي التي يكون التجميل ا راجعاً إلى اللفظ أصلاً وإن تبع ذلك تجميل المعنى فهو غير مقصود[٢].

ولا ينبغي أن يغيب عن الذهن أن استخدام هذه المحسنات، خاصة اللفظية منها، يحدده مطلب توصيل الفكرة وبيان المعنى وجاذبية الصورة الكلامية، كما لا ينبغي أن يجعل الإتيـان بمثل هذه الجماليات هدفاً يرمي إليه المتكلم ويضعه نصب عينيه قبل كل هدف آخر.

### أولاً : من المحسنات المعنوية:

### ١- المطابقة :

وتسمى الطباق، والتضاد، أيضا وهي الجمع بين متضـادين أي معنـيين متقـابلين في الجملة، ويكون ذلك اللفظين من نوع واحد اسمين أو فعلين أو حرفين[٣].

وكذلك فإن الطباق نوعان:

١- طباق إيجاب: وهو الجمع بين لفظين تضاد معنياهما وكل منهما مثبت.

٢- طباق سلب: وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد أحدهما مثبت والآخر منفي.

---

(١) إنعام فوال: المفصل في علوم البلاغة، ص٥٥٦.

(٢) المرجع السابق، ص٥٥٦.

(٣) عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح، ص٥٧٢-٥٧٣.

وأصل التطابق التساوي في الضدية، أما عن صور المطابقة في الرسائل المختارة فهي على النحو التالي :

- من رسالة ابن طاهر إلى المعتصم بن صمادح قوله : (فليندب الإسلام نوادبه، وليبك له شاهده وغائبه) [(١)].

المطابقة بين كلمتي (شاهد وغائب) وهو طباق إيجاب، حيث جمع بين كلمتين تضاد معنياهما وكل منهما مثبت.

من رسالة المعتمد إلى يوسف بن تاشفين قوله: (فقل ناصرنا وكثُر شامتنا) [(٢)].

المطابقة بين كلمتي (قل- كثر) وهو أيضا طباق إيجاب، حيث جمع بين كلمتين تضاد معنياهما وكل منهما مثبت.

من رسالة أبي محمد عبد الله بن الفقيه قوله:(قلما يخْضر منه جانب إلا جف جانب)[(٣)].

المطابقة بين كلمتي (يخضر- جف) وهو طباق إيجاب حيث جمع بين كلمتين تضاد معنياهما وكل منهما مثبت.

ومن رسالة أبي عبد الله محمد بن أحمد البزلياني قوله:(إعزاز الدين، وإذلال القاسطين)[(٤)].

المطابقة بين كلمتي (إعزاز- إذلال) طباق إيجاب، حيث جمع بين كلمتين تضاد معنياهما وكل منهما مثبت.

ومن الرسالة نفسها قوله: (مصروعهم دائر، وصارعهم خاسر) [(5)] المطابقة بين كلمتي (مصروعهم- صارعهم) طباق إيجاب، حيث جمع بين كلمتين تضاد معنياهما وكل منهما مثبت.

---

(١) ابن خاقان: قلائد العقيان، ص ٥٨.

(٢) محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص٢٩.

(٣) ابن بسام: الذخيرة: ق٣، م١، ص١٧٤-١٧٥.

(٤) المصدر نفسه، ق١ م٢ ، ص ٦٣٨-٦٣٩.

(٥)المصدر نفسه، ق١، م٢ ، ص ٦٣٨-٦٣٩.

ومن رسالة عبد الرحمن الناصر- إنشاء كاتبه عيسى بن فطين- إلى قـواده وأنصـاره، قوله: (فلم ينتظر أولهم إلى توافي أخرهم) المطابقة بين كلمتي (أولهم- أخرهم) طباق إيجـاب، حيث جمع بين كلمتين تضاد معنياهما وكل منهما مثبت.

ومن الرسالة نفسها قوله: (عن يمين الحرب ويسارها) المطابقة بين كلمتي (يمين الحرب ويسارها) طباق إيجاب، حيث جمع بين كلمتين تضاد معنياهما وكل منهما مثبت.

ومن رسالة يوسف بن تاشفين إلى تميم بن باديس قوله: (ضاقت م الأرض بما رحبت) المطابقة بين كلمتي (ضاقت- رحبت) طباق إيجاب، حيث جمع بين كلمتين تضاد معنياهما وكل منهما مثبت.

ومن رسالة أبي محمد عبد الله ابن الفقيه على ألسنة أهل بربشتر التي يقول فيهـا (مـن الرؤساء والمرؤوسين).

المطابقة بين كلمتي (الرؤساء- المرؤوسين) طباق إيجاب، حيث جمع بين كلمتين تضاد معنياهما وكل منهما مثبت.

ومن رسالة ابن أيمن إلى يوسف بن تاشفين التي يقول فيها : (أيسطو هكـذا بـالحق الإفك، ويغلب التوحيد الشرك، ويظهر على الإيمان الكفر) [1] المطابقة بين كلمات (الحـق- الإفك)، (التوحيد- الشرك)، (الإيمان- الكفر) وهو طباق إيجاب حيث جمع بـين كلمـات تضادت معانيها وكل منها مثبت.

ومن رسالة ابن عبد البر على ألسنة أهل بربشتر قوله : (قلما يؤمن من هذا إحراق ومن ذلك إغراق) [2] ، المطابقة بين كلمات : (إغراق- إحراق)، طباق إيجاب حيـث جمـع بـين كلمات تضادت معانيها وكل منها مثبت.

(١) ابن بسام: الذخيرة، ق٢ م٢ ، ص٦٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ق٢، م١، ص١٧٨.

ومن رسالة أبي محمد عبد الله بن الفقيه قوله : (الكفر يضحك والدين ينوح يبكي) [1] المطابقة بين كلمتي (يضحك- يبكي) طباق إيجاب، حيث جمع بين كلمتين تضاد معنياهما وكل منهما مثبت.

ومن الرسالة نفسها قوله: (ترغيبا وترهيبا)، وقوله : (فوعد المطيعين جزيل ثوابه والعاصين أليم عقابه)، وقوله: (دنونا وبعدتم)، (شقينا وسعدتم).

المطابقة بين كلمات: (ترغيبا- ترهيبا)، (المطيعين- العاصين)، (ثوابه- عقابه)، (دنونا- بعدتم)، (شقينا- سعدتم)، طباق إيجاب حيث جمع بين كلمات تضادت معانيها وكلها مثبتة.

ومن رسالة المتوكل بين الأفطس إلى الأذفونش قوله: (ليس لنا سوى الله مطلب، وليس لنا سوى غيره مهرب) [2] المطابقة بين كلمتي (مطلب- مهرب) طباق إيجاب، حيث جمع بين كلمتين تضاد معنياهما وكلاهما مثبت.

ومن رسالة أبي بكر بن القصيرة إلى طائفة معتدية قوله:(ولا يحكم أذاه صد ولا رد) [3].

المطابقة بين كلمتي (صد- رد) طباق تام حيث جمع بين كلمتين تضاد معنياهما وكلاهما مثبت.

ومن رسالة ابن أشرف للتهنئة بفتح أقليش قوله: (وقُلم ظُفر الكفر وطالت أيمان الإيمان)[4].

المطابقة بين كلمتي (الكفر- الإيمان) طباق تام حيث جمع بين كلمتين تضاد معنياهما وكل منهما مثبت.

ومن الرسالة نفسها قوله : (..... ويشفع القديم بالجديد).

المطابقة بين كلمتي (القديم- الجديد) طباق تام حيث جمع بين كلمتين تضاد معنياهما وكلاهما مثبت.

---

(١) المصدر نفسه، ق٣، م١، ص١٧٦.

(٢) محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص٢١.

(٣) ابن خاقان: قلائد العقيان، ص١٠٨.

(٤) مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي، ص٣٨-٣٩.

ومن رسالة ابن إسحاق عن المعتضد بالله إلى ابن عباد قوله : (..... فإنك الشريك في الحلو والمر، والمقيم في النفع والضر.... ) [1].

المطابقة بين كلمات (الحلو- المر)، (النفع- الضر) طباق تام حيث جمع بين كلمـات تضادت معاينها وكلها مثبت.

من رسالة ابن التاكرني التي يقسو فيها على الحكام قولـه: (.... استصـرختم فلـم تصرخوا، واستنجدتم فلم تنجدوا....) [2].

المطابقة بين كلمات: (استصرختم- لم تصرخوا)، (استنجدتم- لم تنجدوا) طباق سلب لأـنه جمع بين فعلي مصدر واحد أحدهما مثبت والأخر منفي.

من رسالة المنصور ابن أبي عامر إلى جنده قوله (... أنكرتم ما عـرفتم، ونـافرتم مـا ألفتم...) [3].

المطابقة بين كلمات : (أنكرتم- عرفتم)، (نافرتم- ألفتم) طباق إيجاب حيـث جـاء بكلمات تضادت معاينها وكلها مثبتة.

وبعد أن عرضنا لبعض صور المطابقة في الرسائل المختارة بقى أن نشير إلى أن جماليات هذا المحسن البديعي ترجع إلى أنه يجمع بين الأضداد ويلم شتات المتنافرات في موضـع واحـد فيحدث في الذهن ضرباً من الانتقال السريع بين الضد وضده والشئ ومقابله، وحيت يتحقـق للإدراك هذه الإحاطة بالمتباعدات في الواقع تنشط الفعالية الإدراكية، كما يتـأتى شـئ مـن التعجب والإدهاش اللذين يبرزان المعنى المراد توصيله[4].

ونرى أن الكتاب كانوا موفقين في صور المطابقة التي استندوا إليها في رسائلهم لأ ـا ساهمت في إبراز المعاني التي أرادوا توصيلها للمخاطبين.

---

(١) عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص٤٥٥.

(٢) ابن بسام: الذخيرة، ق٣ م١، ص٢٣٧-٢٣٨.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام: ج٢، ص٧٢.

(٤) إنعام فوال: المفصل في علوم البلاغة، ص٥٥٦.

## ٢- حسن الابتداء :

هو أن يتضمن مطلع الكلام من عناصر الحسن والروعة ما يشد انتباه المتلقي ويخلب لبه ويملك قياده، وذلك أن المطلع أول ما يلقى المتلقي من الكلام إذ يكون منشغلاً باهتمام آخر أو في حال من الخمول والاسترخاء فإنه يحتاج في الكلام المقدم له ما ينتزعه من شاغله السابق، وينشط لديه حس الجمال فيستقبل الكلام المعروض عليه إلى ايته، ويسمي البلاغيون ذلك "براعة الاستهلال"[(١)]. وإذا استقصينا الوجه البلاغي في الرسائل المختارة فإننا سنفصلها على النحو التالي من رسالة قاضي سرقسطة إلى الوالي أبي الطاهر تميم يبرز حسن الابتداء في قوله مبتدئًا رسالته: ( ياالله، ويا للإسلام، لقد انتهك حماه، وفُضت عراه، وبلغ المأمول من بيضته عداه..) [(٢)].

أحسن الكاتب إذ بدأ رسالته بأسلوب الاستغاثة، مما يثير النخوة في المتلقي ويشعل جذوة الإيمان المتقدة في أعماقه فيهب لتلبية النداء.

ومن رسالة أبي محمد عبد الله بن الفقيه على ألسنة أهل بربشتر، يبرز حسن الابتداء في قوله: (من الثغور القاصية والأطراف النائية المعتقدين للتوحيد ... إلى من بالأمصار الجامعة والأقطار الشاسعة بجزيرة الأندلس...) [(٣)].

حسن الابتداء في تعيين زمان ومكان وحال المستغاث م، ينبه المستمع إلى خطورة الموقف وشدة الاستغاثة مما ينبه المتلقي إلى الحرص على سماع فحوى تلك الاستغاثة وسرعة التلبية وجديتها.

ومن رسالة ابن عباد ردا على الأذفونش، يقول ابن عباد مبتدئًا رسالته: (إلى الطاغية الباغية أذفونش بن شانجة الذي لقب نفسه بملك الملوك،وسماها بذي الملتين، قطع الله دعواه)[(٤)].

يتضح حسن الابتداء في مخاطبته للمرسل ووصفه ذه الصفات، مما ينم عن فحوى ومضمون الرد الذي سيتلقاه، فهو ينذره ويرد التهديد بمثله. والابتداء ذه الصياغة يكشف

---

(١) إنعام فوال: المفصل في علوم البلاغة، ص٦١٩.

(٢)حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي، ص٤٧.

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص ١٧٣-١٧٤.

(٤) محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص٢٣-٢٤.

حالة الغضب التي عليها ابن عباد، ويعبر من خلالها عن ثقته بنفسه وقدرته على رد الوعيد بوعيد أقوى وأشد.

ومن رسالة يوسف بن تاشفين ردا على الأذفونش التي جاءت مبتدئة بقوله : (جوابك يا أذفونش ما تراه لا ما تسمعه إن شاء الله) [1].

يتضح حسن الابتداء في هذا الرد السريع والمباشر والمختصر الذي ينم عن الاستهانة بالمتلقي والعزم على الرد العملي على تهديده و تحكمه.

ومن رسالة يوسف بن تاشفين إلى الناصر بدين الله ابن المعز بن تميم بن باديس: (الحمد لله الذي من علينا بالإسلام، وفضلنا بمحمد عليه السلام، ..... كان من قضائه جل شأنه وتقدست أسماؤه، لما أراد قمع المردة الطغاة من زناته وغيرهم من بلاد المغرب، سبب لنا إليهم المطلب....)[2].

حسن الابتداء في بيان اعتزاز الكاتب بدينه ونبيه، وذكره أن الله سلطه على المردة والطغاة، وأن انتصاره عليهم كان بتوفيق الله وعونه، مما يدل على تواضع الكاتب وإحساسه بمسؤوليته تجاه دينه.

ومن رسالة المعتمد بن عباد إلى يوسف بن تاشفين قوله: (...... إلى حضرة الإمام أمير المؤمنين، وناصر الدين، محيي دعوة الخليفة الإمام، أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين....) [3].

حسن الابتداء بإطراء المخاطب والثناء عليه ونعته بأعلى وأجل الصفات مما يبعث الرضا في نفس المتلقي ويجعله يحرص على تلبية نداء المرسل وقضاء حاجته.

ومن رسالة أبي محمد عبد الله بن الفقيه على ألسنة أهل بربشتر التي يقول فيها: (وما ظنكم معشر المسلمين وقد رأيتم الجوامع والصوامع بعد تلاوة القرآن وحلاوة الأذان مطبقة بالشرك والبهتان....) [4].

---

(١) المصدر السابق، ص٢٧.

(٢) عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص٤٤٦.

(٣) محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص٣٧.

(٤) ابن بسام : الذخيرة، ق٣، م١، ص١٧٦.

حسن الابتداء يكمن في الاستفهام في بداية الفقرة مما يجذب انتباه المتلقي، ثم استكمال الفقرة بعقد مقارنات بين الحال التي كان عليها المسلمون والحال التي أصبحوا عليها يثير حفيظة المتلقي ويدفعه إلى بذل النفس فداءً لدينه ووطنه.

ومن رسالة ابن عبد البر التي كتبها على لسان أهل بربشتر ووجهها إلى المسلمين عامة، وفيها يقول: (فلو رأيتم- معشر المسلمين- إخوانكم في الدين، وقد غلبوا على الأموال والأهلين......) (1).

حسن الابتداء في استخدام أسلوب الشرط، ثم الإسهاب في وصف المآسي التي يمر بها المسلمون في بربشتر لتكون المعاناة صورة حية يراها المتلقي بعينيه، وكل صورة تثير الأسى في النفس وتعتصر القلوب بالألم، وتحرك النفوس غضباً لهذا الدين.

ومن رسالة الأديب أبي عبد الله محمد بن أحمد البزلياني عن أحد الأمراء الصالحين إلى مظفر ومبارك العامريين، وفيها يقول: (كتبت يا سيدي ومشارب الآمال قد تكدرت....) (2).

حسن الابتداء يكمن في استخدام الكاتب لكلمة (سيدي) عند مخاطبته المتلقي مما يشعره بتقدير المرسل له، كما أن استخدام تلك الكلمة يشعر المتلقي أن هذه الرسالة شكوى له وهو أهل لإزالتها.

### ٣- موافقة اللفظ للمعنى :

وهو أن تكون صورة الكلام ملائمة لمضمونه، فالمضامين التي تشعها النفس وهي في حالة الانقباض والشدة يعبر عنها بألفاظ توحي أصواتها بأجواء الشدة والصخب والقوة، وذلك خلاف المضامين التي تنبعث عن النفس وهي في حال من الانبساط والاسترخاء والهدوء، فيعبر عنها بجرس هادئ ورنين فاتر، ولا نجانب المنطق إذا قلنا أن البلغاء لا يقصدون إلى ذلك قصداً، بل إن الشحنات الانفعالية التي تتلجلج في النفس تختار وسائطها التعبيرية المناسبة لها، وذلك لأن

(1) ابن بسام : الذخيرة، ق٣، م١، ص١٧٦.

(2) المصدر نفسه، ق٣، م٢، ص٦٣٧.

المعاني إذا أرسلت على سجيتها وتركت وما تريد طلبت لأنفسها الألفاظ ولم تكتس إلا مـا يليق ا[1].

وقد حفلت الرسائل موضع الدراسة بمشاعر متباينة ما بين أفـراح وأحـزان ورضـا وغضب، وغيرها من المشاعر التي اختلجت الكتاب كل حسب الغرض من رسالته، وسنتناول ذلك بالتفصيل على النحو التالي :

من رسالة قاضي سرقسطة مستعيناً بأمير المسلمين بعد أن داهم النصارى مدينته، قوله: (فالآن أيها الأمير، ... فالمنِية لا الدنِية، .... والنار لا العار... فأين النفوس الأبية؟ ... فـإن حزب الله هم الغالبون) [2].

جاءت ألفاظ الرسالة موافقة تماماً لمشاعر الكاتب، فقوله: (فالآن أيها الأمير) ينم عـن استفحال الخطر وشراسته وحاجته الملحة لنجدة المتلقي.

وقوله: (فالمنية لا الدنية والنار لا العار) يعبر عن أنفة الكاتب واعتزازه بدينـه ونفسـه وتفضيله الموت على تجرع الهزيمة والهوان.

وقوله: (فأين النفوس الأبية؟) تساؤل يدل على دهشته واشمئزازه من تخاذل المسلمين عن نجده إخوا م.

ومن رسالة المعتمد بن عباد إلى الأذفونش، قوله : (إلى الطاغية الباغية ألفونس بن شانجة الذي لقب نفسه بملك الملوك وسماها بذي الملتين- قطع الله دعواه-....)[3].

تتضح ملامح الكراهية الشديدة المسيطرة على المرسل تجاه المتلقي من خلال وصفه لـه بالطاغية الباغية ودعائه عليه بقوله (قطع الله دعواه)، وقد جاءت الألفاظ معبرة تماماً عن تلـك الكراهية.

ومن رسالة يوسف بن تاشفين إلى تميم بن باديس قوله : (وجوزنا للعدو أسودا ضارية وسباعا عادية شيبا وشبانا بسواعد قوية وقلوب في سبيل الله نقية.....) [4].

---

(١) إنعام فوال: المفصل في علوم البلاغة، ص٦١٧.

(٢) حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي، ص٤٧.

(٣)محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص ٤٠.

(٤) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص ٤٤٦.

الشعور بالسعادة والفخر هو الشعور المسيطرة على المرسل ويتضح ذلك من خلال وصفه لجنوده بالأسود والسباع ونعته لقلوبهم بالنقاء ولسواعدهم بالقوة.

وقد جاءت الألفاظ موافقة تماما للمعنى الذي يريد الكاتب إبرازه وتوصيله للمتلقي.

ومن رسالة ابن عباد إلى يوسف بن تاشفين قوله: (إلى حضرة الإمام أمير المؤمنين، ناصر الدين، محيي دعوة الخليفة، أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين، القائم بعظيم إكبارها، الشاكر لإجلالها....) [1].

المرسل أرسل هذه الرسالة للمتلقي ليستنجد به، وقد جاءت العبارات معبرة عن شعور المرسل تجاه المتلقي من تقدير وتبجيل ويتضح ذلك من ثنائه عليه في مقدمة الرسالة.

ومن رسائل العتاب رسالة ابن التاكرني إلى حكام المسلمين يعاتبهم على تخاذلهم عن الاتحاد والألفة والوقوف صفا واحدا في وجه العدو، وفيها يقول: (ألم تسلموا من كان بكم مشتداً بعد العهود المؤكدة والمواثيق المشددة؟ فاحتل العدو -قصمه الله- جهة لم تكن تخطر بباله واستنجدتم فلم تنجدوا واستصرختم فلم تصرخوا....) [2].

شعور تام بالألم والحزن والعتاب الشديد على تخاذلهم عن نصرة من كان بهم لائذًا ومستجيرا.

ومن رسالة ابن عبد البر على لسان أهل بربشتر قوله: (.... فتنهبوا قبل أن تنبهوا، وقاتلوهم في ثغورهم قبل أن يقاتلوكم في أكنافكم، وجاهدوهم في ثغورهم قبل أن يجاهدوكم في دوركم، ففينا متعظ لمن اتعظم وعبرة لمن اعتبر) [3].

الكاتب يحمل شعورا كبيرا بالخطر ويحذر المسلمين من ملاقاة نفس المصير والألفاظ المستخدمة تعبر عن الشعور المسيطر على الكاتب.

---

(١) محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص ٢٦-٢٧.

(٢) ابن بسام: الذخيرة، ق٣ م١، ص٢٣٧-٢٣٨.

(٣) المصدر نفسه، ق٢، م١، ص١٧٨.

ومن رسالة ابن طاهر إلى المعتصم بن صمادح، وفيها يقول: (وذلك أن فرديناند نـزل على قلعة أيوب محاصرا لمن فيها، مغيرا على نواحيها بجموع يضيق عنها الفضـاء وتتسـاقط لملاحظتها الأعضاء) [1].

الإحساس بالهزيمة والنكبة هو الإحساس المسطير على الكاتب ويتضح ذلك من الألفاظ التي استخدمها الكاتب والتي جاءت موافقة تماماً للشعور المسيطر عليه.

ومن رسالة يوسف بن تاشفين إلى تميم بن باديس بعد انتصاره في معركة الزلاقة قولـه واصفاً جنوده: (قد عرفوا الحروب وجربوها، فهي أمهم وهم بنوها، يتلحظون تلحظ الفهـود ويزأرون زئير الأسود) [2].

الرسالة في وصف معركة انتصر فيها المرسل ومن الضرورة أن يكون سعيدا بجنوده، وبما حققوه من انتصار، وقد جاءت الألفاظ موافقة للمعاني ومعبرة عن الشـعور المسـيطر علـى الكاتب.

ومن رسالة ألفونس السادس إلى أهل طليطلة قوله : (فارحلوا إلى عدوتكم واتركوا لنا بلادنا، فلا خير في سكناكم معنا بعد اليوم، ولن نرجع عنكم...) [3].

استخدام المرسل للألفاظ جاء موافقاً للمعنى الذي أراد توصيله للمتلقـي مـن تهديـد ووعيد، ويتضح ذلك من قوله (بلادنا) وقوله (لن نرجع عنكم).

## ٤- المذهب الكلامي :

وهو أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريق أهل الكلام[4].

وجمالية المذهب الكلامي هي جمالية الادعاء الذي ينصره الدليل، وهي إحدى وسـائل التأثير التي يستخدمها المتكلم فيكون له ا سلطان قوي على متلقي كلامه.

---

(١) ابن خاقان: قلائد العقيان، ص ٥٨.

(٢) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص٤٤٦.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب (٢٨٢/٣).

(٤) عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح، ص٦١٥.

ومن أمثلة المذهب الكلامي:

من رسالة قاضي سرقسطة التي يقول فيها : (يا لله ويا للإسلام)، لقد انتـهك حمـاه وفضت عراه.....) [1].

في هذه الرسالة دلل الكاتب على مطلبه بمقدمات تبين أن غرضه من الاسـتغاثة هـو الغضب لله ونصرة الدين ثم أتم ذلك بحديثه عن انتهاك حرمات الإسلام والمسلمين مما يدل على صدق استغاثته وضرورة الاستجابة له.

ومن رسالة يوسف بن تاشفين إلى بلاد العدوة عقب موقعة الزلاقة التي جاء فيها: (.... وانقضت جيوش المسلمين في جيوشهم انقضاض العقاب على عقيرته....) [2].

جاءت الرسالة مليئة بوصف المرسل لجنوده وقواته بالصفات الحربية الـتي تـنم علـى الشجاعة والإقدام مما يبين أن النصر حليفهم لا محالة ويجعل المتلقي يستنتج النتيجة من خـلال السمات المطروحة للجنود.

رسالة الحكم الربضي إلى قائده وعامله على سرقطسة التي يقوم فيها: (..... أصـبت رأيك فيما جمعت من كلمة الفريقين.........) [3]، حيث يتضح تقديم المرسل الثناء على المتلقي وبيان سبب ذلك الثناء وإعجابه بصنيعه ذلك الإعجاب المنطقي لجميل عمله.

ومن رسالة ابن طاهر إلى المعتصم بالله صاحب ألمرية قوله: (.... واتصل بنـا أنـه- فرديناند- أباد الديار في جميع تلك الأمصار والمسلمون بينهم سوام ترتع....) [4].

التقديم بذكر أحداث وظروف تنم عن الهزيمة من خلال ذكر المقدمات التي تنم عن ذلك.

من رسالة يوسف بن تاشفين إلى تميم بن باديس التي يقول فيها : (...... فحملوا علينا كالسهام، فثبت الله أفئدتنا، والملائكة معنا، والله تعالى ولي النصر لنا.........) [5].

---

(١) حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي، ص٤٧.

(٢) عنان : دولة الإسلام في الأندلس ٤٤٦.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١١٩-١٢٠.

(٤) ابن خاقان: قلائد العقيان، ص٥٨.

(٥) عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص٤٤٧.

التقديم بوصف حال جيش العدو وموقف المسلمين منه مما ينقل صورة حية للمتلقي عن سير المعركة وما واكبها من أحداث.

ومن رسالة ألفونسو إلى ابن عباد قوله: (...... وقد أبصرتم ما نزل بطليطلة وأقطارها، وما حاق بأهلها حين حصارها.....) [(١)].

التقديم لتهديده بذكر طليطلة وسقوطها كدليل حي على جدية التهديد ومحاولة التـأثير النفسي على المتلقي.

ومن رسالة أبي محمد عبد الله بن الفقيه التي يقول فيها : (.... ومـا ظـنكم معشـر المسلمين وقد رأيتم الجوامع والصوامع بعد تلاوة القـرآن وحـلاوة الأذان مطبقـة بالشـرك والبهتان.....) [(٢)].

التدليل بمقدمات تثير النفوس وتحفز القلوب للسعي نحو النجدة والجهاد.

من رسالة أبي عبد الله بن محمد بن أحمد البزلياني التي جاء فيها : (.... ولم يخف عليكم ما في إصلاح ذات البين من الفوز بخير الدارين، وأمن العباد وخصب البلاد.....) [(٣)].

التقديم بنتائج الإصلاح والتآلف والوحدة لتزكية الشعور بضرورة السعي لنبذ الخلافات والوقوف صفًا واحدا في وجه العدو.

**٥- المبالغة :**

أن يدعي المتكلم أن وصفاً من الأوصاف بلغ من الشدة أو الضعف حداً مستبعداً [(٤)].

ويكمن جمال المبالغة في أن النفوس أطوع دائما للوهم منها للعقل، كمـا أن المبالغـة تساعد في نقل إحساس المرسل أو المتحدث إلى المتلقي بدرجة أكبر من نقل هذا الإحساس دون مبالغة، مما يجعل المتلقي أكثر تأثرا وأسرع استجابة للمرسل.

---

(١) محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص٢٢-٢٣.

(٢) ابن بسام: الذخيرة، ق٣، م١، ص١٧٦.

(٣) المصدر نفسه، ق١ م٢ ، ص ٦٣٨-٦٣٩.

(٤) عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح، ص٦١٢.

وسوف نطرح لصور المبالغة الواردة في الرسائل المختارة على النحو التالي:

من رسالة أبي محمد عبد الله بن الفقيه على ألسنة أهل بربشتر، التي جاء فيهـا: (..... أجفاننا قرحى، وأكبادنا حرى، ونفوسنا مضطربة، وقلوبنا محترقة، على حـين نشـر الكفـر جناحية، وأبدى الشرك ناجذيه....) (١).

المبالغة في الصور الواردة سلفاً والتي يريد المرسل أن ينقل ما آل إليه حال المسلمين من ضعف وهوان.

ومن رسالة المعتمد بن عباد إلى الأذفونش قوله واصفاً الجنود المسلمين: (.... يـديرون رحى المنون بحركات العزائم......) (٢).

المبالغة في تصوير جنوده بتحكمهم في الموت بعزائمهم.

من رسالة يوسف بن تاشفين إلى ابن باديس: (.... وضاقت عليهم الأرض بما رحبت حتى أن هار م لا يرى شيئًا إلا ظنه رجلاً.....) (٣).

المبالغة في تصوير خوف وهلع النصارى بعد الهزيمة من المسلمين.

ومن رسالة ابن عباد إلى يوسف بن تاشفين قوله: (.... وأنت أيدك الله سـيد حمـير، ومليكه الأكبر وأميرها وزعيمها....) (٤).

المبالغة في إطراء المتلقي والثناء عليه ونعته بصفات السيادة والزعامة والملك.

ومن رسالة ابن عبد البر في وصف حال أهل بربشتر قوله (.... ودماؤهم على أقدامهم تسيل سيل المطر بكل سبيل......) (٥).

المبالغة في وصف عدد القتلى من المسلمين بأن دماءهم تسيل سيل المطر بلا هوادة ولا رحمة.

---

(١) ابن بسام: الذخيرة، ق٣، م١، ص١٧٣-١٧٤.

(٢) محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص٢٤.

(٣) عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص ٤٤٨.

(٤) محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص٣٧.

(٥) ابن بسام: الذخيرة، ق٣، م١، ص١٧٥.

ومن رسالة ابن طاهر إلى المعتصم بن صمادح واصفًا جموع النصارى بقولـه: (..... بجموع يضيق عنها الفضاء وتتساقط لملاحظتها الأعضاء......) [1].

المبالغة في وصف أعداد جنود النصارى ومدى تأثير تلك الأعداد فيمن يراهـا مـن المسلمين وما تثيره من هلع وخوف في قلو م.

ومن رسالة ابن عبد البر على ألسنة أهل بربشتر وله : (الحذر الحذر فإنه رأس النظر من بركان تطاير منه شرر ملهب، وطوفان تساقط منه قطر ملهب......) [2].

يصور الكاتب خطورة العدو وقوته ومدى سرعة انتشار سيطرته علـى جميـع بـلاد المسلمين في الأندلس.

ومن رسالة عبد الرحمن الناصر إلى قواده وأنصاره التي يقول فيهـا: (...... وزلزلـوا ردوءهم التي كانت أكاليل الجبال وردم الشعاب.......) [3].

المبالغة في تصوير حصون العدو وكثرة العدد الحربية التي كانت معه أثناء المعركة.

**٦- حسن الختام :**

وهو أن ينهي المتكلم كلامه بما هو قادر على أن يهز نفس المتلقي، ويحرك طبعه ويـثير خياله، فإن ختام الكلام هو آخر ما تسمعه الأذن ويعيه الإدراك[4].

ومن أمثلة حسن الختام في الرسائل المختارة ما يلي:

من رسالة يوسف بن تاشفين إلى ابن باديس قوله : (..... والحمد لله رب العالمين على ما قضى وخول وأعطى، وهذا كله من منه علينا لا منا عليه، وصلى الله على محمد خاتم النبيين

(١) ابن خاقان: قلائد العقيان، ص٥٨.

(٢) ابن بسام: الذخيرة، ق٣، م١، ص١٧٦.

(٣) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص٧١١-٧١٢.

(٤) إنعام فوال: المفصل في علوم البلاغة، ص٦٢١.

وقائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم، وآله الطيبين وسلم تسليماً، والسلام عليـك ورحمـة الله وبركاته) [١].

من رسالة الحكم الربضي إلى عامله على سرقسطة قوله : (.... وقد عرفنا حسن رأيك وصواب سياستك فيما حملناك من أمانتهم، وعصبنا بك من أمرهم ووقع لك منا موقع المعرفة والسلام) [٢].

حسن الختام واضح في هذه الرسالة، حيث لا ينتظر المتلقي كلاما آخر بعد هذا الختام.

ومن رسالة ابن هود إلى علي بن يوسف بن تاشفين قوله: (....، فإن يكن الله أراد أمرا نفذه في خلقه فلا راد لمشيئته ولا حايد عن بليته وسيعلم مبرر هذا الرأي عندكم سوء مغبتـه وعظم هيئته في الفساد ورتبته والله حسيب من بغى بالتضريب بيننا وابتغى، وحسبنا الله وكفى والسلام) [٣].

ومن رسالة عبد الرحمن الناصر إلى قواده وأنصاره قوله: (..... وانحاز المسـلمون إلى معسكرهم، قد قتلوا من أعلام المشركين وقوامسهم وأهل البأس من فرسان الحرب، ومن صبر لوقع السيف، فكانت مصيبتهم بمن قتل منهم عظيمة) [٤].

حسن الختام يوضح ما آلت إليه نهاية المعركة.

من رسالة المتوكل بن الأفطس إلى ألفونسو قوله: (...... وما تربون بنـا إلا إحـدى الحسنين، نصر عليكم، فيا لها من نعمة ومنة، أو شهادة في سبيل الله فيا لها جنة) [5].

حيث ختم الكلام ببيان الخيارين المطروحين أمام المرسل واللذين لا ثالث لهما وكلاهما خير.

---

(١) عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص٤٤٦.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١١٩-١٢٠.

(٣) محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص٧١.

(٤) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص٧١١-٧١٢.

(٥) محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص٢١.

من رسالة أبي عبد الله الفقيه على ألسنة أهل بربشتر قوله : (.... فـالله الله في إجابـة داعينا وتلبية منادينا، قبل أن تصطدع صفاتنا كصدع الزجاج، فهناك لا ينفع العلاج)[1].

حسن الختام يوضح الخطورة من عدم الاستجابة لتلبية طلب الكاتب.

من رسالة ابن التاكرني قوله: (..... فإما ألفة وانتظام واتفاق يحيي رمق الإسلام، وإما داعية تلف وراعدة صلف، وهنالك تزل القدم، ولا ينفع الندم) [2].

**ثانيًا: من المحسنات اللفظية :**

**السجع :**

وهو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، وعنه قال السكاكي: الإسـجاع في النثر كالقوافي في الشعر[3].

وقد كثر استخدام السجع في الرسائل موضوع البحث، وسوف نتناول بعضاً من صور السجع الواردة في بعض الرسائل على النحو التالي :

من رسالة قاضي سرقطسة إلى أبي الطاهر تميم قوله: (يا لله، ويا للإسلام، لقد انتـهك حماه، وفضت عراه، وبلغ المأمول من بيضته عداه....) [4].

السجع في قوله : (لقد انتهك حماه وفضت عراه وبلغ المأمول من بيضته عداه) حيـث اتفقت الفواصل على حرف الهاء.

ومن رسالة ابن عباد إلى يوسف بن تاشفين التي جاء فيها : (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه تسليما، إلى حضرة الإمام أمير المؤمنين وناصر الدين، محيـي دعوة الخلفية الإمام، أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين، القائم بعظيم إكبارها، الشاكر لإجلالها، المعظم لما عظم الله من كريم مقدارها، اللائذ بحرامها، المنقطع إلى سمو مجدها)[5].

---

(١) ابن بسام: الذخيرة، ق٣، م١، ص١٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ق٣، م١، ص٢٣٨-٢٣٩.

(٣) عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح، ص٦٥٣.

(٤) حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي، ص٤٥.

(٥) محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص٣٧.

اتفقت أواخر الفواصل في الهاء الممدودة مما أعطى جرسا موسيقيا جذب نفس المتلقي.

ومن رسالة ابن طاهر إلى المعتصم بن صمادح قوله : (.... فليندب الإسلام نوادبـه، وليبك له شاهده وغائبه، فقط طفئ مصباحه، ووطئ ساحه) [١].

السجع في اتفاق أواخر الفواصل في كلمتي (نوادبه- غائبه)، وكلمتي (مصباحه- ساحه).

ومن رسالة يوسف بن تاشفين إلى ابن باديس قوله :

(... وجوزنا للعدو أسودا ضارية، وسباعا عادية، شيبا وشبانا، بسواق قوية وقلوب في سبيل الله نقية....) [٢].

السجع بين كلمات (ضارية- عادية)، (قوية- نقية).

ومن رسالة ابن عباد إلى ألفونسو قوله :

(... وإعجابك بصنع وافقتك فيه الأقدار، واغتررت بنفسك أسوأ الاغترار، أما تعلم أنا في العدد والعديد والنظر السديد...) [٣].

السجع بين كلمات (الأقدار- الاغترار)، (العديد- السديد).

ومن رسالة ابن عبد البر على ألسنة أهل بربشتر قوله :

(فلو رأيتم- معشر المسلمين- إخوانكم في الدين، وقد غلبوا على الأموال والأهلـين، واستحكمت فيهم السيوف، واستولت عليهم الحتوف، وأثخنتهم الجراح وعبثـت ـم زرق الرماح، وقد كثير الضجيج والعويل والنياح) [٤].

السجع بين كلمات (المسلمين- الدين الأهلين)، (السيوف- الحتـوف)، (الرمـاح- النياح).

---

(١) ابن خاقان : قلائد العقيان، ص ٥٨.

(٢) عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص ٤٤٦.

(٣)محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص٢٤.

(٤) ابن بسام: الذخيرة، ق٣، م١، ص١٧٥.

## التشبيه والاستعارة

### أولاً : التشبيه :

هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى [1].

أما عن صورة التشبيه الواردة في الرسائل موضع البحث فهي على النحو التالي:

من رسالة يوسف بن تاشفين إلى ابن باديس قوله : (فهبطوا إليه لفيفًا واحدا كهبوط السيل بسابق الخيل) [2] صور قدوم المقاتلين على المعتمد بهبوط السيل.

تشبيه مجمل، حيث أتى بالمشبه والمشبه به وأداة التشبيه وحذف وجه الشبه.

ومن رسالة أبي زكريا بن العربي إلى محمد بن تاشفين قوله: (رجال كالجبال) حيث شبه الرجال في قوتهم وصلابتهم بالجبال، تشبيه مجمل، حيث أتى بالمشبه والمشبه به والأداة وحذف وجه الشبه.

ومن العتاب رسالة ابن التاكرني إلى الحكام قوله: (وأهل الشرك كالهشيم المحتظر) [3] تشبيه تام، حيث أتى بالمشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه.

ومن رسالة ابن عبد البر على ألسنة أهل بربشتر قوله: (ودماؤهم على أقدامهم تسيل سيل المطر بكل سبيل) [4].

تشبيه مؤكد، حيث شبه غزارة الدماء المسفوكة بغزارة الأمطار في سيلانها بكل سبيل، وأتى بالمشبه والمشبه به ووجه الشبه وحذف الأداة.

ومن رسالة عبد الرحمن الناصر إلى قواده وأنصاره قوله: (وزلزلوا ردوءهم التي كانت أكاليل الجبال) [5].

---

(١) عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح، ص٣٨٤.

(٢) عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص ٤٤٦.

(٣) ابن بسام: الذخيرة، ق٣ م١، ص٢٣٧-٢٣٨.

(٤) المصدر نفسه، ق٣، م١، ص١٧٥.

(٥) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص٧١١-٧١٢.

شبه حصون العدو في ارتفاعها بأكاليل الجبال. وهو تشبيه مؤكد، حيث أتى بالمشبه والمشبه به ووجه الشبه وحذف الأداة.

**ثانياً : الاستعارة :**

ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له[١].

ومن أنواعها:

١- استعارة تصريحية: وهي ما يصرح فيها بلفظ المشبه به[٢].

٢- استعارة مكنية: هي التي لا يصرح فيها بلفظ المشبه به بل يطوى ويرمز له بلازم من لوازمه ويسند إلى المشبه[٣].

٣- استعارة تمثيلية: وهي تشبيه تمثيلي حذف منه المشبه وصرح بالمشبه به.

ومن صور الاستعارة في الرسائل موضع البحث ما يلي:

من رسالة أبي عبد الله بن الفقيه إلى أبي عمر بن عبد البر النمري قوله: (نشر الكفر جناحيه، وأبدى الشرك ناجذيه) [٤].

استعارة مكنية حيث حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وأبقى المشبه، فشبه الكفر بطائر له جناحان، وشبه الشرك بمخلوق له ناجذ يظهرها عند الانقضاض على فريسته.

ومن رسالة يوسف بن تاشفين إلى ابن باديس التي يقول فيها : (وجوزنا للعدو أسودا ضارية) [٥].

استعارة تصريحية، حيث حذف المشبه -وهو هنا الجنود المسلمون- وصرح بالمشبه به وهو (الأسود).

---

(١) عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح، ص٤٧٥.

(٢) بسيوني فيود: علم البيان، ص١٦٩.

(٣) المصدر نفسه: علم البيان، ص١٧١.

(٤) ابن بسام: الذخيرة، ق٣، م١، ص١٧٣-١٧٤.

(٥) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص ٤٤٦.

ومن رسالة ابن طاهر إلى المعتصم بن صمادح التي يتحدث فيها عن الإسلام:

(فقد طفئ مصباحه) [1]

استعارة مكنية، حيث حذف المشبه به وأبقى المشبه.

هذا وقد عرضنا لبعض صور الاستعارة الواردة في بعض الرسائل كنموذج لاســتخدام الكتاب لهذا الفن البديعي.

(١) ابن خاقان: قلائد العقيان، ص ٥٨.

## المزاوجة بين النثر والشعر

وهو أن تزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء بأن ترتب على كل منهما معنى هو الذي رتب على الآخر [١].

وكان معظم الأدباء الذين شغلهم شأن الأندلس والذين عرضنا لرسائلهم يجمعون بين فني النثر والشعر، كما أن الرسائل الحربية لم تكن مقصورة على النثر، بل كانت بعض من تلك الرسائل تنظم في شكل قصائد شعرية، أو على الأقل تحوي رسائلهم النثرية أبياتاً من الشعر لتأييد فكرة أو توصيل معنى، وسوف نعرض بعض النماذج الشعرية التي وردت في هذه الرسائل:

فمن رسالة لابن عباد إلى يوسف بن تاشفين قوله :

| | |
|---|---|
| غـزو عليـك مبـارك | في طيـه الفـتح القريـب |
| لله سـيفك إنـه | سخط على ديـن الصـليب |
| لابد مـن يـوم يكـون | لـه أخ يـوم القليـب [٢] |

الأبيات تحمل دعاءً للمتلقي بأن يكون الغزو حافلاً بالبركة وأن يكون الفتح هو النتيجة التي ينتهي إليها هذا الغزو، وأن يكون هذا الفتح قريباً لا يستغرق جهدا كبيرا.

ثم يشيد بسيفه ويتعجب من قدرة هذا السيف ويصفه أنه سخط على الملة الصليبية لما يذيقه لهم من مرارة الهزائم.

ومن رسالة الكاتب ابن شرف إلى أمير المسلمين للتهنئة بفتح أقليش قوله:

وهذا دعاء لو سكت كفيته    لأني سألت الله ربي وقد فعل [٣]

---

(١) إنعام فوال: المفصل في علوم البلاغة، ص٥٦٩.

(٢) محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص٤٠.

(٣) مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي، ص٣٨-٣٩.

زاوج الكاتب بين الشعر والنثر، وجاء هذا البيت في ثنايا رسالته التي يهنئ فيها أمـير المسلمين بفتح أقليش، ويريد أن يقول: إن الله –تعالى- يستجيب لعبـاده ا اهـدين دون أن يسألوا؛ لأن ا اهد في سبيل الله حق على الله أن ينصره.

ومن رسالة أبي زكريا ابن العربي لأبي محمد تاشفين يمدحه ويثني عليه وذلك بقوله:

يا أيها الملك الذي يتقنع		منْ منكم البطلُ الْهمام الأروع
ومن الذي غدر العدو به دجى		فانفض كل وهو لا يتزعزع
تمضي الفوارس والطعانُ يصدها		عنه ويدحرها الوفاءُ فترجع
لولا رجالٌ كالجبالِ تعرضت		ما كان هذا السيلُ مما يودع
فثبت والأقدام تزلق والردى		حول السرادقِ والأسنة تقرع
لا يعظمن على الأميرِ فإ ا		خدع الحروبِ وكل حرب يخدع
يا أشجع الأبطالِ ليلة أمه		اليوم أنت مع التجاربِ أشجع
ها أنت من ملك على صغرٍ له		نظر صحيح والقنا تتصدع(١)

يثني المرسل على المتلقي ويصفه بأنه البطل الهمام الذي لا ينتظر الإقدام والبطولة إلا منه، فهو الذي ثبت في وجه العدو رغم غدره وخيانته ومباغتته. ورغم تذبذب فوارسه عنه فقـد ثبت في وجه العدو ولم يتزعزع، وكان ثباته في حين زلل الأقدام من حوله، ثم يصـفه بأنـه أشجع الأبطال بعد أن صقلته التجارب وزادته الحروب شجاعة وقوة.

ومن رسالة الحكم الربضي :

غناء صليل البيض أشهى إلى الأذن		من اللحن في الأوتار واللهو والردن
إذا اختلفت زرق الأسنة والقنا		أرتك نجوماً يطلعن من الطعن
ا يهتدي الساري وتنكشف الدجى		وتستشعر الدنيا لباساً من الأمن
شققت غمار الموت تخطئ مهجتي		سهام ردي قبلي أصابت ذوي الجبن
إذا لفحت ريح الظهائر لم يكن		لفاعي فيها غير فئ القنا اللدن

(١)محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص٩٣.

وإن لم يجد حصناً سوى ابقر مقدم فمالي غير السيف والرمح من حصن
قذفت م من فوق ماء فانزوت له الأرض واستولى على السهل والحزن
فسار يروي كل صديان حائـــم وسح كما سحت عزال مـن المـزن
وإن عن للتيــار من سيلانــه ذري شاهق أضحى كمنتفش العهـن
هنأت به حرباً تقشع بحرها بحمل هناء لـيس يصـلح للبـدن[1]

وله أيضاً :

ولما تساقينا سـجال حروبنـا سقيتهم سجلاً مـن المـوت ناقعـا
وهل زودت أن وفيتهم صاع قرضهم فلاقوا منايـا قـدرت ومصـارعا[2]

يصف الكاتب في هاتين المقطوعتين من الأبيات عشقه للحروب وعشق أذنيه لسـماع صليل السيوف، حتى إن هذا الصليل أشهى إليهما من سماع الألحان.

ثم يسهب في شرح بطولاته ومقدرته في الحروب وما يظهره من شجاعة وبسالة.

ومن رسالة يوسف بن تاشفين إلى ألفونس :

ولا كتب إلا المشرفية عنـده ولا رسل إلا الخميس العرمرم[3]

اقتباس لبيت المتنبي يقول فيه المرسل للمتلقي أنه لن يرسل له رسولاً برسالة وإنما سيتولى السيف الرد على رسالته.

ومن رسالة قاضي سرقسطة إلى أبي الطاهر تميم :

يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو ولا يزرا من العـدو قتيـلاً[4]

(١) ابن الأبار : الحلة السيراء، ج١، ص٤٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٨.

(٣) محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص٢٧.

(٤) مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي، ص٤٧.

يريد أن يحذره أن يكون ممن يجمع الجيوش ولا يحرز ا نصرا ولا يهلك ا عدوا.

ومن ذلك الرسالة التي بعثها الكاتب أبي زكريا بن العربي للأمير أبي محمد تاشفين بـن علي بن يوسف بن تاشفين والتي كانت عبارة عن قصيدة يبين فيها بعض الإرشادات التي يجب عليه إتباعها في الحرب وجاء فيها :

أهديك من أدب الوغى حكمـاً ـا … كانت ملوك الحـرب مثلـك ولـع
لا أنـ ـني أدري ـ ـا لكنـ ـها … ذكـرى تحـض المـؤمنين وتنفـع
خندق عليـك إذا اضـطربت محلـة … سـيان تتبـع ظـاهراً أو تتبـع
وتوق مـن كـذب الطلائـع إنـه … لا رأي للكـذاب فيمـا يصـنع
فإذا احترست بـذاك يـك للمـدى … في فرصـة أو في انتـهاز مطمـع
حارب بمن يخشـى عقابـك للـذي … تخشى ومن في جود كفـك يطمـع
قبل التناوش عب جيشـك مفصـحاً … حيـث الـتمكن وا ـال الأوسـع
إيـاك تعبئـة الجيـوش مضـيقاً … والخيل تفحـص بالرجـال وتمـرع
حصن حواشـيها وكـن في قلبـها … واجعل أمامك منـهم مـن يشـجع
والـبس لبوسـاً لا يكـون مشـهراً … فيكـون نحـوك للعـدو تطلـع
واحتل لتوقـع في مضـايقة الـوغى … خـدعاً ترويهـا وأنـت موسـع
واحذر كمين الـروم عنـد لقائهـا … واخفض كمينك خلفهـا إذ تـدفع
لا تلقـين النـهر خلفـك عنـدما … تلقـى العـدو فـأمره متوقـع
اجعـل منـاجزة العـدو عشـية … ووراءك الصدف الـذي هـو أمنـع
واصـدمه أول وهلـة لا ترتـدع … بعـد التقـدم فـالنكوس تضعضـع
وإذا تكنفـت الرجـال بمعـرك … ظنـك فـأطراف الرجـال توسـع
حتى إذا صـعبت عليـك ولم يكـن … إلا شمـ ـاس دائـ ـم وتمنـ ـع
ورأيت نار الحـرب تضـرم بالظبـا … ودخانـه فـوق الأسـنة يسـطع
ثم انتـهض لجميـع مـا أخمدتـه … حتى يكـون لـه المحـل الأرفـع(١)

(١) محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص٩٥.

# خاتمة البحث

تدور كلمة الأدب على ألسنتنا دورانا واسعا لكثرة اطلاعنا على آثاره، حتى إن الباحث ليظن في بادئ أمره مع هذا ا ال أن جميع موضوعات الأدب قد قتلت بحثًا، وأنه لن يأتي بجديد حال تعرضه لموضوع ما من هذه الموضوعات.

ولعل قيمة الأدب تكمن في مخاطبته للعاطفة، والعواطف التي برع علماء النفس في تسميتها وإحصاءها مازال تحليل عناصرها شاقا عسيرا، وذلك لغموضها الشديد، فنحن نستطيع أن نلحظ ما يصاحبها من بعض المظاهر كالضحك والعبوس والبكاء وتغير لون الوجه، أما هي نفسها فلا نستطيع أن نسبر أغوارها، وذلك لأننا ليس لدينا أية مقاييس يمكن أن نقيسها عليها، ولا مختبرات يمكننا تحليلها فيها. والأدب يقصد منه إثارة الانفعالات في قلوب المتلقين، ولذلك فإن جل اعتماده يكون على الخيال الذي يقصد منه الأديب إثارة عاطفة معينة أو شعور ما داخل المخاطب لينقل له صورة أو يصف له حال.

إن الأديب لا يتحدث حديث شخص عادي كلامه مجرد من التصوير، ولكنه يتحدث حديثًا تصويريا يختلف باختلاف معانيه واختلاف مواقفه واختلاف أحاسيسه ومشاعره، فهو قد يصف الموقف الواحد ويصوره تصويرات مختلفة تختلف بحسب حالته المزاجية رغم وحدة الموقف وثباته، فقد يرى الغروب جميلاً، وقد يراه حزينا، وقد يرى لحظات الشروق نبضات حياة تدب في أوصال الكون، وقد يراها سكرات حارقة تنتزع الروح في حدة صارمة من كل معنى للحياة في هذا الكون

والأديب هو الإنسان الوحيد الذي يرى في عناصر الطبيعة الجامدة حياة وحركة، بل يمنح تلك العناصر الجامدة مشاعر وأحاسيس مستخدما في ذلك مفردات لفظية لا تستخدم إلا للأحياء. ومن هنا تأتي متعة المتلقي للأدب؛ لأن الإنسان في بادئ أمره وربيع عمره كان يرى الحياة متدفقة من كل شيء جامد، فالطفل على يقين تام من أن الدمية التي يلهو ا تشعر باللذة والألم، ويملؤها الحزن والسرور، وهو على يقين تام بأ ا تسمع وتتحدث، وتأخذ وتعطي، وتصحو وتنام، وتغضب وتفرح، ولذلك فهو يحدثها ويسمعها ويصالحها ويخاصمها، ويرضيها ويغضبها.

ومن ثم فإن الأديب بما يسبغه على الجمادات من أحاسيس ومشاعر فإنـه يخاطـب في المتلقي شيئًا متغلغلاً في نفسه منذ نعومة أظفاره، بل ويثير شجنا لذيذًا تحن وتشتاق إليه القلوب بين الحين والحين، وعليه فإن التصوير كلما زاد اتساعا ملئت نفس المتلقي انبـهارا ببضـاعة الأديب المعروضة عليه.

ولابد للأديب من معان وخواطر، وأفكار وخلجات حتى يؤثر في المتلقي الذي يطمـح أن يكون الأدب غذاءً لعواطفه ومشاعره وفكره، لأن الأدب هو وعاء المشاعر الإنسانية بشتى صورها.

ولذلك أرى أن وظيفة الأدب وقيمته تكمن فيما ينتج عن تلقيه من حالات ومواقـف وجدانية وشعورية أكثر مما قد ينتج من حقائق عقلية أو ذهنية، لأن الحقائق العقلية والذهنية لها سبل أخرى مختلفة عن الأدب وأكثر إفادة منه لها.

وإذا كان الأمر كذلك، فإن الأديب يجب أن يمتزج بمجتمعه أيما امتـزاج، ولا يكـون اعتماده على الخيال أمرا يجعله يعيش في برج عاجي منعزل عن مجتمعه وقضاياه، فالأدباء هـم أولى الناس بحمل هموم أوطا م، والأدباء هم قلب الأمم النابض وضـميرها الـيقظ وفكرهـا المستنير، والأدباء هم أرهف أفراد ا تمع حسا وأصدقهم حدسا وأرقهم شعورا، ولذلك فهـو يجب أن يكون أكثر الناس قدرة على التعبير عن هموم وطنه ومشاكل مجتمعه، أمـا إذا أخـذه الخيال إلى واد بعيد عن مجتمعه فليخلع على نفسه وليخلع عليه الناس اي صفة شاء وشاءوا إلا صفة الأدب لأ ا في هذه الحالة بريئة منه كل البراءة، وبعيدة عنه كل البعد، ونافرة منه أشـد النفور.

والأدب الأندلسي كغيره من الأدب لم ينفصل أدباؤه عن مجتمعهم، بل إننا لا نبالغ إذا قلنا إن الأدباء الأندلسيين ضربوا أروع الأمثلة على إحساس الأديب بوطن وتألمه لآلامه وحمله لهمومه ووفائه لقضاياه واستنفاره الهمم في سبيله.

والرسائل الحربية في الأدب الأندلسي ما هي إلا نموذج حي لتفاعل الأديب مع قضـايا وطنه ومشاركته في حمل همومه والدفاع عنه.

وقد عرضنا في الفصل الأول نماذج لتلك الرسائل من أغراض مختلفة، ورأينا مشاركة القضاة والأدباء والحكام والقواد في تلك الرسائل مهما اختلفت الأغراض التي كانت ترسل من أجلها.

أما تحليل تلك الرسائل من حيث المضمون فإن الحديث عنه لم يخرج عن بيان البناء الذي قامت عليه تلك الرسائل وبيان الصور البلاغية التي كثر استخدامها من الأدباء سواء أكانت تلك الصور محسنات لفظية أم معنوية أم تشبية أم استعارة، كما عرضنا للصور الشعرية المستعان بها في تلك الرسائل- بإيجاز شديد- وذلك لبيان اكتمال الحس الأدبي عند مصنفي هذه الرسائل.

**النتائج:**

بعد أن انتهينا من بحثنا يجدر بنا أن نعرض لأهم النتائج التي توصل إليها البحث من وجهة نظرنا:

- كانت الفرقة والتشرذم هي السبب الرئيس لانهيار الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس وهما السبب الرئيس لانهيار أية حضارة في كل زمان ومكان.
- الأدباء كان لهم دور بارز في الحروب الأندلسية، كما أن معظم الحكام والأمراء كانوا أدباء، مما يدل على ثراء الحياة الأدبية الأندلسية، وأهمية الأدب الأندلسي لدارسي الأدب العربي والمهتمين بالأدب عموما.
- الأدباء هم أقدر الناس إحساسا بمشاكل أوطانهم، وهم أول الناس انفعالاً بها.
- الرسائل الحربية فن من الفنون الأدبية، التي لم تأخذ حقها من الدراسة الأدبية والتي ينبغي لها أن تحظى بقدر كبير من الاهتمام لما تحفل به من صنوف الفكر والبلاغة التي يتفنن الدارسون والباحثون في الحديث عنها في الفنون الأدبية الأخرى.

وإنني لا أدعي أني بلغت الكمال في عملي البحثي هذا؛ لأنني أعلم علم اليقين أن الأدب الحربي في الأندلس كنز أدبي وفكري ولن ينضب معينه أبداً وسيظل مادة ثرية للأدباء والباحثين، وآمل أن تكون هذه الدراسة قد فتحت الباب أمام الدارسين لينظروا إلى الأدب الأندلسي عامة والأدب الحربي خاصة نظرة جديدة ومختلفة.

وفي النهاية أقول: إن كان هناك توفيق في هذا البحث فهو من الله سبحانه، وإن كـان هناك خطأ أو سهو أو نسيان فهو مني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء. وآخر دعوانـا أن الحمد لله رب العالمين.

## قائمة المصادر ... والمراجع


١- أحمد بن محمد ابن عذارى، البيان المغرب بأخبار الأندلس والمغرب، ج٣، تحقيق: أليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت- لبنان،.

٢- أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

٣- أحمد مختار العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٤- أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، الطبعة ١٧، الشركة العصرية العربية المحدودة.

٥- إنعام فوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م.

٦- بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان، الطبعة ٣، مؤسسة المختار، ١٤٣١هـ.

٧- جودة الركابي، في الأدب الأندلسي، الطبعة ٧ ، دار المعارف ، القاهرة.

٨- حسين مؤنس، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، مكتبة ديرسان لورنزو بالاسكوريال، د.ت.

٩- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي- عصر الدول والإمارات، الطبعة ٤، دار المعارف، القاهرة.

١٠- عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥م.

١١- علي الشتريني ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس.

١٢- الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي المشهور بابن خاقان، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق: د.حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

١٣- لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الأحلام من ملوك الإسلام، تحقيق: سيد كسروي، دار الكتب العلمية.

١٤- محمد بن عبد الله بن أبي بكر ابن الأبار، الحلة السيراء ، تحقيق: د. حسين مؤنس، الطبعة الأولى، ١٩٦٣م والطبعة الثانية ١٩٨٥م.

١٥- محمد زينهم، أخبار ا موعة، دار الفرجاني، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

١٦- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٧- محمد لسان الدين بن الخطيب، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، مطبعة التقدم الإسلامية، عدد ٣٤، تونس.

١٨- يوسف اشياخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تحقيق: د. محمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، ١٩٩٦م.

## فهرس المحتويات